١ - أبو بكر الصديق (رضى الله عنه)

● **الخطبة الأولى :**

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، أدّى الأمانة، وبلّغ الرسالة، ونصح للأمّة، وجاهد فى الله حقّ جهاده، وتركنا على المحجة البيضاء، على الطريقة الواضحة الغرّاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلاّ هالك، فمن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبينا.

اللهمّ صلّ وسلّم وبارك على هذا النبىّ الكريم، وعلى آله وصحابته، وأحينا اللهمّ على سنّته، وأمتنا على ملّته، واحشرنا فى زمرته، مع الذين أنعمت عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

أمّا بعد... فيا أيّها الإخوة المسلمون :

هذا مسجد أبى بكر الصديق :

هذا المسجد يُنسب إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه: (مسجد أبى بكر الصديق) (١).

لماذا ينسب المسلمون مساجدهم ومدارسهم ومؤسّسات كثيرة عندهم إلى أبى بكر الصديق، وإلى أمثاله من الغرّ الميامين من أصحاب رسول الله ﷺ ؟

إنّ هذا اعتراف من المسلمين بفضل أولئك السابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، رضى الله عنهم ورضوا عنه.

---

(١) أسندت خطبة الجمعة بهذا المسجد بالدوحة منذ إنشائه إلى الشيخ القرضاوى، وهذه أول خطبة ألقيت فيه منذ أكثر من ربع قرن، وكان ذلك قبل إنشاء مسجد عمر بن الخطاب وانتقاله إليه.

OBEIKAN.COM

● **وجوب التعرف على جيل الصحابة :**

لهذا كان من واجبنا أن نتعرّف على هذه الصفوة المباركة، على هذا الجيل الربانى الذى تخرّج فى مدرسة النبوّة، فى مدرسة محمّد ﷺ.

كان من واجبنا أن نتعرّف على هؤلاء، فإنّ الإسلام لم يصلنا، وإنّ القرآن والسّنّة لم يأتيا إلينا إلاّ عن طريق هؤلاء. إنّ هذا الإسلام الذى نعيش فى رحابه، ونحيا فى ظلّه، لم يصل إلينا عفواً صفوا، وإنّما وصل إلينا عبر جهاد طويل، من أناس بذلوا أنفسهم ونفائسهم فى سبيل الله، وكان فى طليعة هؤلاء: أبو بكر الصّدّيق رضى الله عنه.

أبو بكر الرجل الثانى فى الإسلام :

أبو بكر أوّل من أسلم من الرجال، وأوّل من جمع القرآن، وأوّل من سمّاه (مصحفاً)، وأوّل خلفاء رسول الله ﷺ.

أبو بكر الصديق – كما قال سعيد بن المسيّب سيّد التابعين رضى الله عنه – كان ثانى رسول الله ﷺ فى الإسلام، وكان ثانية فى الغار: ﴿ **.. ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ** ﴾ [التوبة: ٤٠]، وكان ثانيه فى العريش يوم بدر، وكان ثانيه فى إمامة المسلمين الصغرى، وإمامتهم الكبرى. وكان ثانيه فى القبر، وما قدّم المسلمون ولا قدّم رسول الله ﷺ على أبى بكر أحداً.

أجل، أبو بكر الصديق أوّل من أسلم من رجال هذه الأمّة، جاء فى الحديث: « ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلاّ كانت عنده كبوة وترددّ ونظر، إلاّ أبا بكر ما عكم [أى تلبث] عنه حين ذكرته، ولا تردّد فيه »(١)، فبمجرّد أن دعاه رسول الله ﷺ دخل فى الإسلام، لأنّه كان يعرفه من قبل، معرفة الصديق بصديقه، الذى يعرف مظهره ومخبره، ومدخله ومخرجه، من خلال عشرة طويلة. وكان يرى فيه دلائل نبوّة، ويعرف من أخلاقه أنّه ليس بكذّاب، فما أن عرض عليه الإسلام حتى أسلم.

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير فى البداية والتهاية (٣ / ٢٦) عن ابن إسحاق من حديث محمد ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمى.

OBEIKAN.COM

ولمّا كان يوم الإسراء وأخبر النبى ﷺ قريشاً بما وفّقه الله إليه من رحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، واستبعد هؤلاء ذلك، وذهب أحدهم إلى أبى بكر يعرض عليه ما قال صاحبه، كأنّه كان يتخيّل أن يوافقه أبو بكر على التكذيب، قال له: أو قال ذلك؟ قال: نعم. قال: إن كان قاله فقد صدق. إنّى أصدّقه فى خبر السماء - أنّ جبريل يأتى من فوق سبع سموات إلى الأرض بآيات الله فى لحظة - أفلا أصدّقه أن يذهب إلى بيت المقدس فى ليلة؟ ولهذا سمّى (الصّدّيق)، لسرعة تصديقه للنبى ﷺ، ولملازمته للصدق فى حياته كلهّا.

كان أبو بكر: الرجل الثانى فى الإسلام بعد رسول الله ﷺ عرف ذلك المسلمون، عرفوا فضله، حتى فى حياة النبى ﷺ تغاضب أبو بكر وعمر فى قضية من القضايا، واشتدّ أبو بكر على عمر فى هذه القضيّة، ثمّ طلب أبو بكر من عمر السماح، فلم يسمح عمر وأبى، قال له: اغفر لى ياعمر، فلم يفعل. فذهب أبو بكر يشكو عمر إلى النبى ﷺ، وأدرك عمر خطأه، فذهب إلى أبى بكر ليعتذر إليه، فلم يجده فى البيت، فأقبل إلى النبى ﷺ فوجد وجهه متمعّراً - أن يستسمحه أبو بكر فلم يسمح - وخشى أبو بكر أن يغضب عليه النبى ﷺ فقال: يارسول الله أنا كنت أظلم منه.. أنا كنت أظلم منه - يريد أن يعفو عنه النبى ﷺ - فقال النبى ﷺ لعمر: «إنّ الله بعثنى إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواسانى بنفسه وماله، فهل أنتم تاركون لى صاحبى؟ فهل أنتم تاركون لى صاحبى؟» (١).

هكذا كانت منزلة أبى بكر من رسول الله ﷺ.

وفى الحديث المشهور: «... ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوّة الإسلام..» (٢).

● إشارات نبوية لترشيح أبى بكر لقيادة الأمة :

كانت منزلة أبى بكر عند رسول الله ﷺ وعند المسلمين منزلة كبيرة،

---

(١) البخارى ج ٤ كتاب فضائل الأصحاب باب ٥ عن أبى الدرداء.

(٢) رواه مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد: كتاب فضائل الصحابة رضى الله تعالى عنهم، فضائل أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه. انظر (صحيح مسلم بشرح النووى: ١٥/ ١٥٠ - ١٥١) ط. دار الفكر، ١٤٠١ هـ - ١١٨١).

ولهذا لمّا مرض النبى ﷺ قدّمه ليصلى بالناس، وهذا حديث متواتر، قال: «مروا أبا بكر فليصلّ بالنّاس»[1]، وكانت عائشة رضى الله عنها تحاول أن لا يجعله خليفته فى الصلاة حتى لا يتشاءم الناس به، ولكنّ النبى ﷺ أصرّ أن يكون أبو بكر خليفته على الإمامة بالنّاس. وكان فى هذا إشارة إلى ترشيحه، وقد فهم المسلمون الإشارة وقالوا قولتهم بعد ذلك: رضيه رسول الله لديننا أفلا نرضاه لدنيانا؟!

وكانت هناك إشارات كثيرة من النبى ﷺ إلى ترشيح أبى بكر.

فقد جاءت امرأة تسأل النبى ﷺ شيئاً، فأمرها أن ترجع إليه، فقالت: يارسول الله أرأيت إن جئت فلم أجدك؟ - كأنّها تعنى الموت - فقال: «فإن لم تجدينى فأتى أبا بكر»[2] كلّ هذا إشارة إلى ترشيحه.

وفى الحديث الآخر: أراد أن يكتب كتاباً لأبى بكر حتى لا يتمنّى متمنّ، ويقول قائل أنا أولى، فقال النبى ﷺ: «ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»[3]. حتى ذهب من ذهب من علماء المسلمين إلى أنّ أبا بكر منصوص عليه، أخذاً من مجموع هذه الإشارات والكلمات.

كان أبو بكر أوّل من خلف رسول الله ﷺ، وكان جديراً أن يكون مقدّم هذه الأمّة، فقد عاش مع النبى ﷺ وشهد معه المشاهد كلّها، ولم يغادره فى سفر ولا حضر.

---

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجة عن عائشة رضى الله عنها، ورواه البخارى ومسلم عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه، ورواه البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما، ورواه ابن ماجة عن ابن عباس رضى الله عنهما وعن سالم بن عبيد الأشجعى رضى الله عنه: (فيض القدير للمناوى: ٥/٥٢١ برقم ٨١٧٥).

(٢) رواه مسلم فى صحيحه من حديث جبير بن مطعم رضى الله عنه (صحيح مسلم بشرح النووى: ١٥/١٥٤).

(٣) رواه مسلم فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها (صحيح مسلم بشرح النووى: ١٥/١٥٥).

OBEIKAN.COM

● **يوم وليلة من أبى بكر خير من عمر :**

ولما سمع عمر فى خلافته أنّ بعض الناس يقدّمه على أبى بكر، صعد المنبر وقال : أما إنّى سمعت بعض الناس يقول : كذا وكذا، وإنّ يوماً وليلة من أبى بكر خير من عمر وآل عمر، وذكر الليلة وذكر اليوم .

أمّا الليلة فكانت ليلة الهجرة، ليلة الغار، حيث صحب أبو بكر رسول الله ﷺ وسار معه إلى الغار، فكان تارة يمشى أمامه، وتارة يمشى خلفه، وتارة يمشى عن يمينه، وتارة يمشى عن شماله، فسأله النبى ﷺ، فقال : يارسول الله أتذكر الرصد – أن يكون هناك أحد مترصّداً لك – فأمشى أمامك، حتى إذا حدث شيء تلقّيته عنك، ثم أتذكر الطلب – أن يكون أحد يطلبنا من خلفنا – فأمشى خلفك، ثمّ أمشى عن يمينك، ثمّ أمشى عن شمالك[1] .

معنى هذا أنّه كان يريد أن يفدى رسول الله ﷺ بنفسه . ولم يدخل الغار حتى تحسّسه أن يكون فيه شيء يؤذى رسول الله ﷺ .

فهذه ليلة ذكرها عمر .

أمّا اليوم : فيوم مات النبى ﷺ، وطاشت العقول، وغابت الأحلام، حتى ذهب بعض النّاس إلى أنّه لم يمت، وحتى إنّ عمر نفسه قال : لا تقولوا هذا، من قال : إنّ رسول الله قد مات، ضربت عنقه! فوقف أبو بكر – هذا الرجل اللّيّن البكّاء الخاشع – كأنّه الجبل الأشمّ والطود الراسخ، وقال فى خطبته الشهيرة : أيّها الناس، من كان يعبد محمداً فإنّ محمّداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنّ الله حىّ لا يموت، وقد قال الله تعالى له فى كتابه : ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ . .** ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال له : ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وقال : ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٤٤] . قال الصحابة : كأنّنا لم نسمع هذه الآيات

---

(١) رواه أحمد فى فضائل الصحابة عن ابن أبى مليكة، ج ١ حديث رقم ٢٢ .

OBEIKAN.COM

التى طالما تلوناها وسمعناها إلاّ اليوم. أذهلتهم المصيبة وأدهشتهم الصدمة، ولكن أبا بكر – وهو أشدّ الناس حبّاً لرسول الله ﷺ وتعلّقاً به – لم تذهله الصدمة، وكشف عن وجهه ﷺ وقال: طبت حيّاً وميتاً يارسول الله !

كان أبو بكر رجل الموقف، كان هو الرجل الذى يحتاجه الموقف فى تلك الساعة، وإنّما الرجال بمواقفهم.

وقد ظهر فضله، وظهرت صلابته، وظهرت شجاعته، فى المواقف كلّها.

● **أبو بكر الخليفة الأوّل :**

لقد قدّمه المسلمون واختاروه وبايعوه خليفة لرسول الله... تلكّأ الأنصار فى أوّل الأمر، وقالوا: منّا أمير ومنكم أمير. حتى وقف أبو بكر فخطب فيهم خطبته وقال: يامعشر الأنصار، والله لا ننكر فضلكم، أنتم كذا وكذا، ولكنّا عصبة رسول الله ﷺ، أسلمنا قبلكم، وقُدّمنا فى القرآن عليكم، ولا تدين العرب إلاّ لهذا الحيّ من قريش، فلا تنفسوا على إخوانكم ما آتاهم الله تعالى، نحن الأمراء، وأنتم الوزراء، ها أنا أرضى لكم أحد هذين الرجلين: عمر أو أبا عبيدة. قال عمر وقال أبو عبيدة: ما نقدّم عليك أحدا. وسارع عمر فبسط يده فبايعه، وبايعه أبو عبيدة، ثمّ تسارع الأنصار بعدهما فبايعوه مختارين راضين.

لقد قال لهم بشير بن سعد كلمة قلبت الموقف كلّه، قال لهم: يامعشر الأنصار، لقد كنتم أوّل من آوى ونصر، فلا تكونوا أوّل من بدّل وغيرّ، فقالوا: والله ما نقدّم على أبى بكر أحدا.

كلمة واحدة قالها رجل مخلص، ففعلت فعلها فى النفوس، لأنّ النفوس كانت مطمئنّة بالإيمان، كانت الفطر سليمة، فإذا وجدت الكلمة الصادقة فإنّها تفعل فعلها فى هذه النّفوس.

● **رجل المواقف : حروب الردة :**

تجلّت مواقف أبى بكر بعد وفاة النبى ﷺ، وفى خلافته التى كانت خيراً

OBEIKAN.COM

وبركة على المسلمين رغم قصر مدتّها – سنتان وبضعة أشهر – ولكنّها حفظت الإسلام وأبقته حيّاً مترعرعاً.

لولا وقفة أبى بكر وصلابته ما قام للإسلام قائمة، ولكن الله قيّض لهذا الدين هذا الرجل.

انظروا: مات رسول الله ﷺ وتسامع العرب بموته، تسامعت القبائل – وكان إسلامها لم يتمكن بعد – فارتدّ الكثيرون، ومنع الزكاة الكثيرون، وساروا وراء المتنبئين الكذّابين: مسيلمة فى بنى حنيفة، وسجاح بنت الحارث فى بنى تميم، والأسود العنسى فى اليمن، وطليحة الأسدى فى أسد وغطفان، وكانوا يعلمون أنّ هؤلاء كذّابون، ولكنّها العصبيّة الجاهليّة.

كانوا يقولون: كذّاب ربيعة أحبّ إلينا من صادق مضر، يريدون نبيّا قوميّاً وطنياً قبلياً، من قبيلتهم، ولو كان كاذبا.

انتشرت الردّة فى كل مكان، وقال آخرون: نصلّى ولا نزكّى، إنّما كانت الزكاة لرسول الله، لأنّ صلاته سكن لنا، أمّا أبو بكر فلا يأخذ منّا الزكاة، لأن صلاته ليست سكنا لنا.

حدث هذا كلّه، فماذا صنع أبو بكر؟

● **أول من حارب من أجل الفقراء :**

أبى أبو بكر إلاّ الإسلام كلّه، أبى أن يتنازل عن شىء من الإسلام، حتى إنّ عمر بن الخطاب على قوّته وجبروته فى دين الله، جاء إليه يقول له: يا خليفة رسول الله، تألّف القوم فإنّهم كالوحش وارفق بهم. فقال: ماذا تقول يا ابن الخطاب؟! أجبّار فى الجاهلية خوّار فى الإسلام؟! أأرجو نصرتك فتجيئنى بخذلانك؟! ماذا تريدنى أن أفعل بهم؟ آتيهم بشعر مفتعل أم بسحر مفترى؟! والله لأجاهدنّهم ما استمسك السيف بيدى، والله لأقاتلنّ من فرّق بين الصلاة والزكاة. قال عمر: كيف تقاتلهم وقد قال النبى ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا: لا إله إلا الله عصموا منّى دماءهم وأموالهم

OBEIKAN.COM

إلاّ بحقّها وحسابهم على الله»[1] . قال أبو بكر: أما والله لأقاتلنّ من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإنّ الزكاة حقّ المال. (أى وقد قال: «إلاّ بحقّها»).

فكان أبو بكر أفقه من عمر فى فهم الحديث.

ولذلك لمّا رأى عمر صلابته واستمساكه قال: فما أن رأيت أبا بكر قد انشرح صدره للقتال إلاّ وقد علمت أنّه الحق.

ووقف الصحابة جميعاً بجانبه، وجهّز أحد عشر لواء، وعقد لأحد عشر قائداً من قوّاد المسلمين، يذهبون إلى هؤلاء القبائل الذين ارتدوّا والذين منعوا الزكاة، وقال قولته المعروفة: والله لو منعونى عناقاً - أى عنزاً صغيرة - وفى رواية: لو منعونى عقالاً - أى حَبْلاً يربط به البعير - كانوا يؤدوّنه لرسول الله لقاتلتهم عليه.

وكان أبو بكر أوّل حاكم يعرفه التاريخ، يجيّش الجيوش، ويعلن الحرب، من أجل انتزاع حقوق الفقراء من أيدى الأغنياء، قبل أن تعرف الدنيا الاشتراكيّة والشيوعيّة وغيرها. وإنّما فعل ذلك بأمر الله ورسوله، إنّه يعلم أنّ الزكاة حقّ، تؤخذ طوعاً وإلاّ أُخذت كرها.

كان أبو بكر أوّل من حارب من أجل الفقراء، ماسيّر الفقراء مظاهرة تطالب بحقوقهم.، ولا عقدوا مؤتمراً، ولا قدّموا عريضة، ولكن هو الحق الذى قرّره لهم الإسلام.

هكذا، كان هذا الرجل البكّاء، الذى كان إذا دخل فى الصلاة، وقرأ القرآن، بكى حتى يختفى صوته من البكاء، وانهمرت دموعه حتى تبلّل لحيته، ولكنّه فى المواقف الصعبة يظهر أسداً هصورا.

● **إنفاذ جيش أسامة :**

كان النبى ﷺ قد أمَّرّ الحِبّ بن الحب، أسامة بن زيد - الشاب المؤمن ابن الثامنة عشرة - على جيش فيه من كبار الصحابة مثل عمر بن الخطّاب رضى

---

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه (شرح السنة للبغوى بتحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤط: ١/٦٦ برقم ٣٢).

الله عنه، أمّره ليذهب إلى حيث ذهب أبوه من قبل فى مؤتة، ليذهب للقاء الروم، حتى لا يظنّ الروم أنّ المسلمين قد ضعفوا، أو أنهّم قد يئسوا. أراد النبى ﷺ أن يلقى الرعب فى قلوب القوم، وأمّر عليهم هذا الشاب المتوثّب من شباب المسلمين، الذين كان يشغلهم الجهاد والفتح وإعلاء كلمة الإسلام فى الأرض.

ولكن النبى ﷺ ثقل به المرض، فقالت فاطمة بنت قيس زوجة أسامة: إنّ النبىّ ﷺ ثقل، فلا تعجل بالذهاب.

وشاء الله أن يختار رسوله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، فكان رأى المسلمين – بعد أن رأوا ما رأوا من ارتداد من ارتدّ – ألا يُنفذ جيش أسامة.

ارتدت العرب.. ذهبت فيهم الردة كلّ مذهب، ولم يبق هناك إلاّ المدينة ومكّة والطائف، هنالك جاء بعض المسلمين يقولون لأبى بكر: لا تنفذ جيش أسامة، نحن فى حاجة إليه، رُدّ أسامة ومن معه، فإنّ القبائل قد ارتدّت حول المدينة، فقال: ماذا تقولون؟ أتريدون منّى أن أُؤَخّر جيشاً أنفذه رسول الله ﷺ؟ والله لو رأيتُ السباع تتخّطفنى، ولو جرّت الكلاب بخلاخل أمّهات المؤمنين، ما أخّرت جيشاً أنفذه رسول الله ﷺ، ولا حللت لواء عقده رسول الله ﷺ!

وأبى إلاّ أن ينفذ جيش أسامة.

كان أبو بكر متّبعاً لا مبتدعاً، كان مؤمناً بالله ورسوله، كانت مزيّته هو هذا اليقين الذى يملأ عليه جوانب صدره، ولذلك جاء فى الأثر: «ما فضلكم أبو بكر بصلاة ولا صيام، ولكن بشىء وقر فى صدره» بسرّ وقر فى صدره، هو سرّ الإيمان واليقين الذى لا يتزعزع أبداً.

أنفذ جيش أسامة، فما كان يمرّ بقبيلة من قبائل العرب إلاّ قالوا: ما ذهب هؤلاء للقاء الروم إلاّ وبهم قوّة ومنعة. فأدخل ذلك الرعب فى قلوبهم، وقالوا: ننتظر حتى نرى ماذا يفعلون مع الروم أو يفعل معهم الروم.

فذهب أسامة ومن معه وقاتلوا وقتلوا، ونصرهم الله وهزم عدوّهم وعادوا سالمين غانمين، فكان فى ذلك خير وبركة على الإسلام والمسلمين.

OBEIKAN.COM

كان أبو بكر هو رجل الموقف بحق، بعث الجيوش هنا وهناك لتأتى بالزكاة من المانعين، وتردّ هؤلاء المتنبئين الكذّابين ومن معهم إلى حظيرة الإسلام. من عاد إلى الإسلام بالحسنى فبها، وإلاّ فالحَكَم بينه وبين المسلمين السيف، وقد حكّم المسلمون سيوفهم فى أولئك حتى رجعوا إلى الإسلام.

● **معركة اليمامة** :

كان من المعارك الفاصلة فى عهد أبى بكر: معركة اليمامة، معركة المسلمين مع مسيلمة الكذّاب وقومه، كان يوماً من أيّام الله، قاتل فيه بنو حنيفة تحت راية مسيلمة قتالاً لم يُعهد مثله، كانوا مستبسلين. وقاتل الصحابة قتالاً لم يُعهد مثله وصبروا صبراً لم يُعهد مثله.

قيس بن ثابت حفر لنفسه فى الأرض إلى أنصاف ساقيه، حتى لا يفرّ ولا يغادر مكانه إلاّ أن يموت فى سبيل الله.

زيد بن الخطاب – شقيق عمر – قال: ياقوم، عضّوا على أضراسكم، واثبتوا على أقدامكم، وامضوا قدما، والله لا أتكلمن بكلمة حتى ننتصر، أو ألقى الله شهيداً فى سبيل الله، فأكلّمه بحجتى، فلم يتكلم حتى خرّ شهيداً، ولقى الله مع الشهداء.

حذيفة بن اليمان كان ينادى فى الناس: ياأهل القرآن زيّنوا القرآن بالفعال، ياأهل القرآن زيّنوا القرآن بالفعال.

كان نداء الصحابة ونداء القرّاء: يا أصحاب سورة البقرة، بطل السحر اليوم.

قيل لسالم مولى أبى حذيفة: إنّنا نخشى أن نؤتى من قبلك. قال: تخشون أن تؤتوا من قبلى؟! بئس حامل القرآن أنا إن أوتيتم من قبلى!

ولذلك كان معظم الشهداء فى هذا اليوم من حملة القرآن.

كان يوماً من أيام الله، انتصر فيه الإسلام، وقتل فيه مسيلمة الكذّاب، قتله وحشى بن حرب، ذلك الرجل الأسود الذى قتل بحربته أسد الله وأسد رسوله:

OBEIKAN.COM

(حمزة بن عبد المطلب) فى أُحد . هذه الحربة قال : لابدّ أن أقتل بها مسيلمة، تكفيراً عن خطيئتى من قبل . ولذلك كان يقول : قتلت خير الناس، وقتلت شرّ الناس .

انتصار الإسلام فى عهد أبى بكر :

هكذا كان انتصار الإسلام فى عهد أبى بكر رضى الله عنه . وكان هذا دليلا على القوة الكامنة فى طبيعة الإسلام، والتى تظهر أقوى ما تكون فى أيام المحن والشدائد .

فى عهد أبى بكر رضى الله عنه عاد النّاس إلى حظيرة الإسلام . هؤلاء المرتدون آبوا إلى رشدهم، ورجعوا إلى الإسلام، وكان منهم بعد ذلك من وهب نفسه للقتال فى سبيل الله، تكفيراً عمّا صدر منه فى حرب الإسلام وأهله، فكانوا فى طليعة المقاتلين الذين قاتلوا تلك الدول الطاغية المتجبرة فى الأرض : فارس والروم .

هكذا كانوا وذلك بفضل أبى بكر رضى الله عنه وموقفه الصُّلب الشجاع .

ردّة ولا أبا بكر لها :

ونحن اليوم حينما نرى ألوانا من الردة تظهر فى مجتمعاتنا الإسلامية، تعلن عن نفسها، وتتحدى عقائد الأمة ومشاعرها، وتتهجم على القرآن، وعلى الرسول، وعلى الشريعة، نقول بألم وحسرة ما قاله العلامة أبو الحسن الندوى : (ردّة ولا أبا بكر لها)[1] !

الباذل كل ما عنده للإسلام :

عاش أبو بكر رضى الله عنه حياته للإسلام منذ آمن ولم يعرف إلاّ هذا الدين، بذل نفسه وبذل ماله لله، ولذلك قال النبى ﷺ : « إنّ من أمنّ الناس علىّ

---

(١) عنوان رسالة لطيفة للداعية الإسلامى الكبير الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى رحمه الله .

أبا بكر فى ماله وصحبته»، وقال: «ما نفعنى مال ما نفعنى مال أبى بكر» فبكى أبو بكر وقال: يارسول الله، وهل أنا ومالى إلاّ لك يارسول الله؟!(١).

كان عنده أربعون ألف دينار – أو درهم – قبل الهجرة، فلّما هاجر لم يكن معه منها إلاّ خمسة آلاف، لم تزد كما يزيد مال التجار، وإنّما نقصت إلى هذا الحد، وإنّما أنقصها أنّه كان يشترى العبيد المستضعفين الذين يُعذّبون ويعتقهم. اشترى سبعة أنفس ممّن يُعذَبون فى الله منهم (بلال بن رباح)، ولذلك كان عمر يقول: أبو بكر سيّدنا وأعتق سيّدنا.

وقد أجمع المفسّرون على أنّ الآيات الكريمة فى سورة (الليل) نزلت فى أبى بكر: ﴿ **وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ * وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ** ﴾ [الليل: ١٧ – ٢١].

قال عمر: أمر رسول الله ﷺ يوماً بالصدقة، وقد اجتمع عندى مال، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر، فأخذت نصف مالى – وهو يظنّ أنّ أحداً لن يصل إلى ما وصل إليه – وذهبت به إلى النبى ﷺ، فقال: ماذا تركت لأهلك ياعمر؟ قلت: تركت لهم مثله يارسول الله، فدعا لى. ثمّ جاء أبو بكر بماله، فقال: ماذا أبقيت لأهلك يا أبا بكر؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله – أى جاء بماله كلّه – فقال عمر: والله لا أسابقك إلى شىء أبدا(٢).

● **رجل القرآن:**

كان السابق فى الخيرات، كان المقدّم فى كل شىء: فى الإيمان، فى الفقه، فى البذل، فى المسلوك.

عاش بعد رسول الله ﷺ سنتين وبضعة أشهر، ثمّ وافاه المرض، فلّما مرض نظرت إليه (عائشة) ابنته، الصّدّيقة بنت الصّدّيق – وهو على فراش الموت – فتمثّلت بقول الشاعر:

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

---

(١) رواه البخارى عن أبى سعيد الخدرى كتاب مناقب الأنصار باب ٤٥ ج ٤.

(٢) رواه أبو داود عن عمر بن الخطاب حديث رقم ١٦٧٨ – الترمذى حديث رقم ٢٩٠٢ وقال: حسن.

OBEIKAN.COM

فكشف أبو بكر عن وجهه – وهو يعاني سكرات الموت – وقال: لا تقولي هذا يا بنيّة، ولكن قولي: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩].

هذا أبو بكر يعيش مع القرآن، حتى ساعة الاحتضار، وقد أغناه القرآن عن الشعر، هذا خليفة رسول الله ﷺ.

التدقيق فى الكلمات :

دخل عليه بعض الناس بعد الخلافة، فقال له: ياخليفة الله. قال: لا، بل أنا خليفة رسول الله، وأنا راضٍ به (١).

خشى أن تستخدم هذه الكلمة، كأنّه يتلقّى عن الله، أو نحو ذلك، كما يقوله دعاة (الحق الإلهى) الذى كان يدعيه بعض الناس لملوكهم وأباطرتهم: أنّ عروقهم يجرى فيها دم إلهى معيّن – غير دماء الناس – يعصمهم من الخطأ، فنفى أبو بكر ذلك من أوّل الأمر وقال: أنا خليفة رسول الله.

رضى الله عن أبى بكر، ورضى عمّن عاونه وناصره من صحابة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

أقول قولى هذا – أيّها الإخوة – وأستغفر الله تعالى لى ولكم، وصلّى الله على محمّد وآله، أُدعوا الله يستجب لكم.

● **الخطبة الثانية :**

الحمد لله، بيده الملك وهو على كلّ شىء قدير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء. وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا به وعزّروه

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٣/١٨٣، عن ابن أبى مليكة.

OBEIKAN.COM

ونصروه واتبعوا النّور الذى أنزل معه، أولئك هم المفلحون. ورضى الله عمّن دعا بدعوته، واهتدى بسنّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

أما بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون :

من الواجب علينا أن نرجع إلى تاريخنا، وأن نتعرّف على هؤلاء الميامين المباركين من أصحاب رسول الله ﷺ، ومن تبعهم بإحسان.

إنّ الكثيرين منّا يجهلون هذا التاريخ العظيم، وهو تاريخ حافل، وأكثر من يعرفون منّا شيئاً عنه، إنّما يعرفون الوقائع السياسية الشهيرة، ولا يعرفون ما تمتلىء به صفحات الكتب من فضائل ومناقب لكل هؤلاء الأبطال.

إنّ الإسلام إنّما انتشر فى الأرض بأخلاق هؤلاء. ما انتشر الإسلام بالسيف كما يقول الأفّاكون، إنّما انتشر الإسلام بالأخلاق .. بالإيمان.. بالعمل.

رأى الناس فى أصحاب رسول الله ﷺ، وفيمن تبعهم بإحسان: الإسلام مجسّماً، رأوا فيهم الصدق.. الأمانة.. الزهد فى الدنيا.. الرغبة فيما عند الله عزّ وجلّ، حب الخير للناس، الرحمة بخلق الله، فأحبّوا هذا الدين.

إنّ الذى يحجز الأمم عن الإسلام اليوم إنّما هم (المسلمون). أغلظ حجاب حاجز عن الدخول فى الإسلام هو: حال المسلمين وسلوك المسلمين، هؤلاء الذين يعبثون بالأموال، بالملايين فى أوربّا وأمريكا، هؤلاء الذين لا يراهم الناس إلاّ مخمورين، هؤلاء الذين يراهم الناس بهذا السوء، ثم يعرفون أنهم (مسلمون) فينفرّون الناس من الإسلام.

إنّ أحوج ما نحتاج إليه: أن نعرف تاريخنا، ونعرف أوّل ما نعرف أصحاب رسول الله ﷺ، الذين ظلمهم من ظلمهم.

تصوّروا أنّ هناك فئة من الناس تذمّ أبا بكر وعمر، وأمثالهما من أصحاب رسول الله ﷺ !

هل رأت الدنيا مثل هؤلاء؟!

هل اكتحلت عين الدنيا برؤية مثل هؤلاء الصفوة الأخيار؟!

OBEIKAN.COM

هـذا الجيـل الربانى . . الإنسـانى . . القـرآنى . . الأخـلاقى . . الذى لم يُر مثله قط هو ثمرة التربية النبوية، وخريج المدرسة المحمدية فمن طعن فيه فكأنما يشكك فى ثمار النبوة .

نسأل الله عزّ وجلّ أن يجعلنا ممّن يسيرون وراء رسول الله ﷺ، ويهتدون بهدى أصحابه، وأن يجعلنا من ﴿ **الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ** ﴾ [الزمر: ١٨] .

اللّهمّ إنّا نسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى .

اللهمّ إنّا نسألك العفو والعافية فى ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا .

اللهمّ استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا .

اللهمّ اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا فى الأمور كلّها، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة .

اللهمّ انصر الإسلام وأعز المسلمين . اللهم اجعل كلمة الإسلام هى العليا، وكلمة أعداء الإسلام هى السفلى .

﴿ . . **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٤٧]، ﴿ . . **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [الحشر: ١٠] .

وصلّ اللهمّ على عبدك ورسولك محمّد، وعلى آله وصحبه وسلّم .

﴿ . . **وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٤٥] .

* * *

OBEIKAN.COM

٢ - رسالة المسجد فى الإسلام

● **الخطبة الأولى :**

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون :

حديثنا اليوم عن رسالة المسجد فى الإسلام.

المسجد فى الإسلام دار العبادة، ومكان الصلاة.

كلمة المسجد مشتقّة من (السجود)، أى: موضع السجود، وعُبرّ عن الصلاة - أعظم العبادات - بالسجود، لأنّه الركن الذى يتجلىّ فيه الخشوع الكامل، والخضوع الشامل، لله تبارك وتعالى، كما فى الحديث الصحيح: «أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد..» (١).

المسجد هو مكان الصلاة، مكان هذه العبادة اليوميّة، التى جعلها الإسلام عموداً له، فـ«الصلاة عماد الدين» (٢) من أقامها فقد أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين.

وجعلها الله خمس مرّات فى اليوم والليلة، أشبه بالوجبات الروحيّة التى يحتاج إليها الإنسان، كما يحتاج إلى الوجبات الغذائيّة الماديّة لجسمه، حمّام يتطهرّ به كلّ يوم خمس مرات: «أرأيتم لو أنّ نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كلّ

---

(١) رواه مسلم، وأبو داود، والنسّائى، عن أبى هريرة رضى الله عنه، وتتمّته: «فأكثروا الدعاء». (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوى: برقم ١٩٣، ٩٢٣) و (شرح السنة للبغوى: ٣/١٥١ برقم ٥٥٨).

(٢) ذكر الحافظ بن حجر العسقلانى فى كتابه [التلخيص الحبير] ١/١٧٣

[(فائدة) قال فى الوسيط: قال صلى الله عليه وسلم: الصلاة عماد الدين، فقال النووى فى التنقيح: هو منكر باطل، قلت: وليس كذلك، بل رواه أبو نعيم شيخ البخارى فى كتاب الصلاة، عن حبيب بن سليم، عن بلال بن يحيى، قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ نسأله فقال: الصلاة عمود الدين، وهو مرسل رجاله ثقات.....]. يقول يوسف القرضاوى:

وجاء فى حديث معاذ بن جبل عند الترمذى وغيره: «ألا أدلك على رأس الأمر، وعموده، وذروة سنامه؟ رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد».

OBEIKAN.COM

يوم خمس مرّات هل يبقى من درنه [1] شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهنّ الخطايا» [2].

وقد ندب الإسلام إلى الصلاة فى المسجد.. صلاة الجماعة، فهى إمّا سنّة مؤكدة، وإمّا فرض كفاية، وإمّا فرض عين كما يرى ذلك الإمام أحمد رضى الله عنه.

فللجماعة أهميّتها فى الإسلام، ومن هنا نشأت أهميّةّ المساجد لتبنى الإيمان وتزرع اليقين، وتذكر بالله تعالى وباليوم الآخر، وتصل المسلم بحقائق الإسلام، يتعلم فى المسجد ما جهل، ويتذكر ما نسى، ويقوى ما ضعف من أمر دينه.

ليس ارتباط المسلم بالمسجد كما يرتبط النصرانىّ مثلاً بالكنيسة، يزورها مرّة فى الأسبوع، لا، إنّ المسجد يرتبط بحياة المسلم يوميّاً، وإذا تكاسل عن الجماعة صلاة أو صلاتين تفقده إخوانه وسألوا عنه، فإن كان مريضا عادوه، وإن كان مشغولاً أعانوه، وإن كان مسافراً دعوا له وتفقدوا أهله، وإن كان ناسياً ذكرّوه، وهكذا.

كان المسجد هو الملتقى اليومى للمسلمين، ومن هنا حثّ الإسلام على بناء المساجد، وجعل لبناء المسجد قيمة عند الله، جعله باباً إلى الجنّة، حتى قال النبى ﷺ: «من بنى لله مسجداً قَدْرَ مَفْحَصِ قَطَاةٍ بنى الله له بيتاً فى الجنّة» [3] القطاة: طائر صغير، ومفحص قطاة: هو المكان الضيّق الذى تفحص التراب عنه لتبيض فيه. أى مهما بلغ من الصغر والضيق فإنّ له عند الله بيتاً فى الجنّة.

هكذا تسابق المسلمون قديماً إلى بناء المساجد، ولا يكاد يوجد خليفة

---

(١) الدرن: هو الوسخ.

(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسّائى من حديث أبى هريرة، ورواه ابن ماجة من حديث عثمان (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/١٦٨، برقم ١٨٤).

(٣) رواه البزّار واللفظ له، والطبرانى فى الصغير، وقال الهيثمى: رجاله ثقات، ورواه ابن حبان فى صحيحه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/١٥٩، برقم ١٥٥).

OBEIKAN.COM

أو سلطان أو أمير إلا حاول أن ينشيء مسجدا، أو يحيى مسجدا، ولا غرو أن كان أول مؤسسة أنشأها رسول الله ﷺ بعد الهجرة هى المسجد النبوى، الذى كان محور النشاط فى المجتمع كله.

ومن هنا كانت أهمية المشى إلي المسجد، كل من مشى إلى المسجد كتب الله له بكلّ خطوة حسنة، ورفع له بها درجة، ومحا عنه سيّئة [١]، ولهذا لمّا أراد بنو سلمة من الأنصار أن يتركوا أماكنهم البعيدة وينتقلوا إلى أماكن قريبة من مسجد النبى ﷺ منعهم النبى عليه الصلاة والسلام. أرادوا أن يتركوا أماكنهم التى توارثوها عن آبائهم وأجدادهم وأن يأتوا قرب المسجد فقال لهم: «يابنى سلم، ديارَكُمْ تُكْتَبْ آثارُكُم، ديارَكُمْ تُكْتَبْ آثارُكُم»[٢] أى: الزموا دياركم، وآثاركم وخطواتكم مكتوبة لكم.

وقال النبى ﷺ: «المشّاؤون إلى المساجد فى الظلم أولئك الخوّاضون فى رحمة الله تعالى»[٣] من مشى للمسجد وخاصّة فى ظلمات الليل أولئك الخوّاضون فى رحمة الله، وقال: «بشّر المشّائين فى الظلم إلى المساجد بالنوّر التامّ يوم القيامة»[٤].

فكل غدوة أو روحة إلى المسجد لها أجرها عند الله، وفى الحديث: «من غدا إلى المسجد أو راح، أعدّ الله له فى الجنّة نزلاً كلّما غدا أو راح»[٥].

---

(١) ففى الحديث الذى رواه أبو داود: «إذا توضأ أحدكم فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى الصلاة، لم يرفع قدمه اليمنى إلاّ كتب الله – عز وجل – له حسنة، ولم يضع قدمه اليسرى إلاّ حطّ الله – عز وجل – عنه سيّئة...» (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/١٦٢ برقم ١٦٨).

(٢) رواه مسلم وغيره من حديث جابر رضى الله عنه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/١٦٣ برقم ١٦٩).

(٣) رواه ابن ماجة عن أبى هريرة حديث رقم ٧٧٩ وسكت عنه البوصيرى ولم يذكره الألبانى فى صحيح ابن ماجة.

(٤) رواه أبو داود، والترمذى وقال: حديث غريب، وفى نسخة: حسن غريب. من حديث بريدة، قال الحافظ المنذرى: ورجال إسناده ثقات، ورواه ابن ماجة بلفظه من حديث أنس. وانظر (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/١٦٤ برقم ١٧٣).

(٥) رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/١٦٣ برقم ١٧٢).

هكذا كانت قيمة المسجد، وهكذا منزلة المسجد.

ولهذا كان اعتياد المشيء إلى المساجد وعمارتها بالصلاة والذكر وتلاوة القرآن دليلاً على الإيمان.

روى الترمذى عن النبى ﷺ: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان»(١) ثمّ تلا قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ...** ﴾ [التوبة: ١٨] والعمارة ليست بالبناء فقط، من ذهب إلى المسجد مصلّياً أو مسبّحاً أو تالياً أو جالساً فى حلقة علم أو منتظراً للصلاة أو لتلاوة قرآن فهو يعمر المساجد. والحديث ضعيف الإسناد ولكن عمدتنا هى الآية الكريمة.

للمسجد منزلة أى منزلة فى الإسلام، ولهذا كان فى عهد النبى ﷺ مركز الدعوة، ودار الدولة، الدعوة تنطلق من المسجد، والدولة أيضاً كانت تتمثّل فى المسجد، كان النبى ﷺ يستقبل المندوبين والوفود والسفراء القادمين من البلاد الأخرى فى المسجد، ويقابل أصحابه فى المسجد، ويعلّمهم فى المسجد، وتنطلق الجيوش من المسجد، وكان المسجد محور الحياة الإسلامية، ومحور النشاط الإسلامى كلّه.

المسجد جامع وجامعة:

كان المسجد جامعاً للعبادة، وجامعة للعلم. كان جامعة شعبيّة مفتوحة الأبواب فى الصيف والشتاء، فى الخريف والربيع، للرجال وللنّساء، للكبار وللصغار، يتعلم فيها الدين، ويتعلّم فيها الأدب، ويتعلّم فيها الخلق، مدرسة تعلّم العلم والعمل، وتربى النفوس، وتعلم الرؤوس، تُعنى بالتطبيق قبل النظريّة.

كانت الجوامع جامعات، ومن هنا عرفنا الجامعات العلميّة العريقة فى العالم

---

(١) رواه أحمد، والترمذى، وابن ماجة، وابن خزيمة فى صحيحه، وابن حبان والحاكم والبيهقى فى السنن عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، وقال الترمذى: حسن غريب. وانظر (فيض القدير للمناوى: ١/ ٣٥٧ – ٣٥٨ برقم ٦٣٤). والحديث من رواية دراج عن أبى الهيثم، ولذا ضعفه العلماء.

OBEIKAN.COM

الإسلامى باسم الجوامع: جامع الأزهر فى مصر، وجامع الزيتونة فى تونس، وجامع القرويين فى المغرب. هذه الجامعات من أعرق – أو هى أعرق – الجامعات فى العالم، نشأت تحت سقوف الجوامع وفى ساحات المساجد.

المسجد للرجل وللمرأة جميعا :

كان المسجد جامعة شعبية مفتوحة للرجل والمرأة، لم تكن المرأة محرومة من المساجد، كما حرمها المسلمون فى العصور الأخيرة. كان مسجد النبى ﷺ يتسع للرجال وللنساء، كان للرجال الصفوف الأماميّة، وكان للنساء الصفوف الخلفيّة، ولم يكن بينهم أىّ حاجز لا من خشب ولا من بناء، ولا من نسيج.

وكانوا يدخلون من أبواب واحدة، ثمّ رأى النبى ﷺ فى بعض الأوقات مزاحمة الرجال بالنّساء، فقال: «لو تركنا هذا الباب للنساء (١). قال ابن عمر: فلم أدخل منه ولم أخرج بعد منه (٢).

صار هذا الباب للنّساء، ولا زال إلى اليوم مكتوباً عليه: «باب النّساء». من زار مسجد النبى فى المدينة، رأى هناك باباً يسمّى باب «النّساء».

ولهذا ممّا سرّنى فى هذا المسجد أن يكون هنا مكان للمرأة المسلمة، تأتى لتسمع الموعظة، وتشارك فى العبادة الإسلاميّة، كما شارك نساء الصحابة، وأمهات المؤمنين فى العهد النبوى وعهد الصحابة رضى الله عنهم.

لم يحرم الإسلام المرأة من العبادة، ولا من الموعظة، ولا من الدروس، فلا داعى للتشدّد الذى تشدّد به بعض العلماء فى العصور الفائتة. فإنّ المرأة اليوم قد خرجت وذهبت إلى المدرسة، وذهبت إلى الجامعة، وذهبت إلى السوق، وسافرت بكلّ وسائل النقل، فلماذا نحرمها من المسجد.....، وقد قال العلماء: إنّها تبقى

---

(١) رواه أبو دواد عن ابن عمر، وفى رواية أخرى أنّ قائل ذلك هو عمر، قال: وهذا أصحّ (سنن أبى داود مع شرحه عون المعبود: ٢/٢٧٧ – ٢٧٨ برقم ٥٦٧).

(٢) وهذا مشهور من سيرة ابن عمر رضى الله عنهما، أنّه كان شديد الاتباع لآثار رسول الله ﷺ.

فى بيتها وعلى زوجها – أو على أبيها – أن يفقهها فى دينها، ولكن أين الأب الذى يعلّم ابنته؟ وأين الزوج الذى يفقه أمرأته؟ وقد قيل: فاقد الشىء لا يعطيه!

فعلى المرأة أن تأتى إلى المسجد، وليس لزوجها أن يمنعها، وفى الحديث الصحيح الذى رواه الشيخان: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»[1]، إذا أرادت المرأة أن تصلّى فى المسجد مثل هذه الصلاة (صلاة الجمعة) أو تحضر درساً أو موعظة، فلا يجوز لزوجها أن يمنعها، إذ لا ينبغى أن تمنع إماء الله مساجد الله، المسجد جامعة.. مدرسة عامّة للمسلمين والمسلمات جميعا.

المسجد برلمان للأمة:

والمسجد برلمان للأمّة. كان المسلمون إذا نزلت بهم نازلة أو ألّمت بهم ملمّة، اجتمعوا فى المساجد يتشاورون ماذا يفعلون؟ كان المسجد ملتقى الحاكم والمحكوم، بل كان حاكم المسلمين هو الذى يؤمهّم، فليس فى الإسلام انفصال بين الدين والدنيا، ليس هناك رجال الدين ورجال الدنيا، كل مسلم رجل لدينه، الذى رشّح أبا بكر للخلافة فى نظر المسلمين أنّ النبى ﷺ استخلفه لإمامة الناس فى الصلاة، فقال عمر كلمته: رضيه رسول الله لديننا أفلا نرضاه لدنيانا؟!

الحاكم يعرض سياسته من فوق المنبر، يقول للناس: ماذا يريد منهم؟ وماذا يريدون منه؟

اعتلى أبو بكر – رضى الله عنه – المنبر ووقف يقول: أيّها الناس، إنِىّ وُلّيت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتمونى على حقّ فأعينونى، وإن رأيتمونى على باطل فقوّمونى، القوىّ فيكم هو الضعيف عندى حتى آخذ الحقّ منه، والضعيف فيكم قوىّ عندى حتى آخذ الحقّ له، أطيعونى ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم!!

بيان ألقاه خليفة يقول فلا يكذب، ويعد فلا يخلف. وسمعته أمّة تسمع فلا تنسى، وتحاسب فلا تخشى.

---

(١) متفق عليه عن ابن عمر، كما فى اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (٢٥٤).

OBEIKAN.COM

برلمان نوّابه: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢]

المساجد الجامعة:

المسجد مؤتمر عام للمسلمين، وخاصّة فى مثل هذا الاجتماع الأسبوعى: اجتماع الجمعة. المفروض أن يلتقى أهل الحى فى مسجدهم فى الصلوات الخمس، ويجتمع أهل المدينة أو أكبر مجموعة منها فى الجامع الكبير لصلاة الجمعة. كانت سياسة المسلمين إذا بنوا مدينة أن يبنوا مسجداً جامعاً يسع أهلها جميعا. هذه كانت سياستهم منذ عهد النبى ﷺ.

بنى النبى مسجده فى المدينة ليسع أهل المدينة، ولمّا كثر المسلمون وسّعه الخلفاء الراشدون.

لمّا دخل عمرو بن العاص إلى مصر بنى جامعه فى الفسطاط، فى مصر القديمة، ليسع أهل الفسطاط فى ذلك الوقت.

ولمّا بنى أحمد بن طولون بعد ذلك مدينة القطائع بنى جامعاً ضخماً ليسع أهل المدينة التى بناها.

ولمّا بنى جوهر الصقلّى بعد ذلك مدينة القاهرة بنى جامع الأزهر ليسع أهل القاهرة.

لم تكن سياستهم بناء جوامع صغيرة أو مساجد ضيقّة تسع مائة أو مائتين، وتزخرف وتزيّن، ولكنّها لا تتسع للآلاف من الناس، لا، المفروض فى المساجد أن تتسع للآلاف، وأن يكون المسجد مجتمعاً للجماهير المسلمة، وكأن الحاكمين والساسة يخافون من التجمعّات الدينية الإسلامية، فأوعزوا أن تكون المساجد من الضيق والصغر بحيث لا تسع النّاس.

الأصل فى المساجد أن تكون جامعة، وأن يقلّ عددها، وتتسع مساحتها، ولو كانت المساجد بهذه المثابة لاستطعنا أن نهيىّء لها خطباء مجيدين ووعّاظاً نابغين، أمّا أن يكون فى المدينة الواحدة ألف مسجد، فمن أين تأتى بألف خطيب؟.

OBEIKAN.COM

الأصل فى المساجد أن تكون جامعة واسعة رحبة، ولهذا قال الفقهاء: إنّه لا يجوز أن تصلى الجمعة فى مسجد إلاّ إذا امتلأ المسجد الآخر، وينبغى أن لا تتعدّد المساجد إلاّ لحاجة.

والآن المساجد كلّها ممتلئة لأنّها صغيرة، ولذلك يُصلّى فى جميع بلاد المسلمين فى الشوارع وفى الطرقات، ليست هناك مساجد مثل الأزهر وابن طولون وعمرو بن العاص وغيرها [١].

المسجد فى نظر المبشرين :

أيها الإخوة المسلمون: فى أوائل هذا القرن جاءت حملة تبشيريّة على مصر، ولكنّها لم تنجح، باءت بالفشل، فكتب كبير المبشرين تقريراً يقول فيه: سيظلّ الإسلام صخرة عاتية تتحطّم عليها محاولات التبشير مادام للمسلمين هذه الأركان الأربعة: القرآن، والأزهر، واجتماع الجمعة الأسبوعى، ومؤتمر الحج السنوى.

هكذا كانت رؤيتهم لهذا المؤتمر الأسبوعى للمسلمين.

المسجد يعلمنا النظام :

فى المسجد نتعلّم أشياء كثيرة :

فى المسجد نتعلّم النظام والطاعة والجنديّة: «سووا صفوفكم، فإن تسوية الصف من تمام الصلاة»[٢]، «لا تختلفوا فتختلف قلوبكم»[٣]، «ولينوا بأيدى إخوانكم»[٤]، «إنّما جعل الإمام ليؤتمّ به، فإذا ركع الإمام فاركعوا، وإذا سجد

---

(١) انظر رسالة : (الضوابط الشرعية لبناء المساجد) للشيخ الدكتور يوسف القرضاوى نشر مكتبة وهبة بالقاهرة.

(٢) رواه البخارى، ومسلم، وابن ماجة، وغيرهم، عن أنس رضى الله عنه، وفى رواية للبخارى: «فإنّ تسوية الصفوف من إقامة الصلاة» (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/١٨٣ برقم ٢٣٤).

(٣) رواه ابن خزيمة فى صحيحه عن البراء بن عازب رضى الله عنه، وتمامه: «... إنّ الله وملائكته يصلّون على الصف الأوّل» (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/١٨٣ برقم ٢٣٣).

(٤) قطعة من حديث رواه أحمد وأبو داود، وصحّحه النووى فى الرياض، وكذا شاكر، ونصّه: «أقيموا الصفوف، وحاذوا بين المناكب، وسدّوا الخلل، ولينوا بأيدى إخوانكم، ولاتذروا =

فاسجدوا، وإذا قرأ فأنصتوا»[1]، «الذى يخفض ويرفع قبل الإمام إنّما ناصيته بيد شيطان»[2]، «أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه من ركوع أو سجود قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار، أو يجعل الله صورته صورة حمار»[3]، لأنّه لم يفقه معنى النظام ولا معنى الصلاة، فهو جدير بأن يخرج من الإنسانيّة وأن يمسخ الله رأسه رأس حمار.

المسجد يعلمنا الحرية :

نتعلّم فى المسجد الحرية والإخاء والمساوة: المعانى والقيم الإنسانية التى ينادى بها المنادون اليوم، ويتاجرون بها على المسلمين، المسلمون هم أصحابها، المسلون هم دعاتها، المسلمون هم أوّل من دعا إليها نظريّاً وطبّقها عليّا.

أىّ حرية أعظم من حرّية الضمير؟ أن يصلى فى المسجد، فلا يخضع إلاّ لله، ولا يدعو إلاّ الله، ولا يخشع لأحد مهما كان لأنّ المساجد لله، ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ [سورة الجن:١٨].

حرية التعبير وحرية الرأى: إذا صلّى وراء الإمام وأخطأ الإمام فمن حق المصلين خلفه – بل من واجبهم – أن ينبهوه، ولا سيما إذا كان الخطأ جسيما، حتى يعود إلى الصواب، هذا يقول له: سبحان الله، وآخر يصحّح له الآية، وأخرى من وراء الصفوف تصفّق له بيدها، لأنّ المرأة يكون تصحيحها بالتصفيق لا بالكلام، وهكذا.

وإذا اعتلى الخطيب المنبر، فليس دكتاتوراً يفرض على النّاس ما يريد، إذا

= فرجات الشيطان، ومن وصل صفاً وصله الله، ومن قطع صفاً قطعه الله» (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١ / ١٨٤ برقم ٢٣٥).

(١) رواه مسلم من حديث أبى موسى الأشعرى، وحديث قتادة برقم ٤٠٤، وابن ماجة برقم ٨٤٧.

(٢) رواه البزار والطبرانى بإسناد حسن، وكذا قال الهيثمى، عن أبى هريرة رضى الله عنه، ورواه مالك فى الموطأ موقوفاً عليه ولم يرفعه، (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١ / ١٨٨ برقم ٢٥٠).

(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة، عن أبى هريرة رضى الله عنه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١ / ١٨٨ برقم ٢٤٩).

OBEIKAN.COM

أخطأ فمن حقّ أىّ جالس فى المسجد أن ينبهه، وأن يناقشه، بل من حق المرأة فى الصفوف الخلفيّة أن تفعل ذلك، كما فعلت المرأة التى ردّت على عمر فى مسألة المهور، وقالت له: كيف تقول فى المسألة هذا، وقد قال الله كذا وكذا؟ فقال: أصبت، وقال للناس: أصابت المرأة وأخطأ عمر !!

وردّ رجل من غمار الناس على علىّ بن أبى طالب ورجع إلى رأيه وقال: أخطأت أنا وأصبت أنت، وفوق كلّ ذى علم علِيم.

هذا يعلّمنا أنّ المسجد هو موئل الحرية، ومعلم الحرية.

المسجد يعلمنا الإخاء :

فى المسجد نتعلّم الإخاء: فنحن نلتقى كل يوم فيه، تتلاصق الأبدان، وتتصافح الأيدى، وتتعارف الوجوه، وتتحابّ القلوب، ويسأل بعضنا عن بعض.

مجموعة تقف وراء إمام واحد، تتجه إلى قبلة واحدة، تؤمن بربّ واحد، تؤمن برسول واحد، تتلو كتاباً واحداً، تؤدى أقوالا وأفعالاً واحدة، بنية واحدة.. إلام يؤدى هذا؟ إن هذا يؤدّى إلى إشاعة الأخوّة، والترابط بين القلوب بعضها وبعض.

المسجد يعلمنا المساواة:

نتعلّم فى المسجد المساواة: وأىّ مساواة أعظم من مساواة المسلمين فى المسجد؟ يجلس الكبير بجوار الصغير، والغنى بجوار الفقير، والوزير بجوار الخفير، والحاكم بجوار المحكوم، وأستاذ الجامعة بجوار عامل من العمّال، لا فرق بين هذا وذاك.

ليس فى الإسلام لائحة تنظّم بروتوكولات الحضور: أنّ الصف الأوّل للسادة الوزراء، والصف الثانى لأعضاء مجلس الشورى، والصف الثالث للمديرين العامين.. لا، من حضر مبكّراً احتل مكانه فى الصف الأوّل، ثم الذى بعده» دون تمييز ولا تفضيل.

OBEIKAN.COM

الغربيّون إلى اليوم لا يعرفون هذه المساواة، هناك كنائس للبيض وكنائس للسود!

أخطأ مرة أحد الزنوج فى أمريكا فدخل كنيسة للبيض، ووجد القسيس هذا الأسود مع الناس، فلمحه هذا الكاهن فى صفوف الناس، فأرسل إليه ورقة يقول له: الكنيسة المخصّصة للسود تقع فى شارع كذا وكذا (يعنى انصرف) فأخذ الرجل نفسه وانصرف.

حتى العبادة فرّقوا فيها بين الألوان.. بين الأبيض والأسود.

يقول الدكتور محمد إقبال فيلسوف الإسلام فى الهند: أىّ ثورة تحدث لو أنّ هذا البرهمى الارستقراطى المستكبر وقف بجوار هذا المنبوذ فى جنوب الهند، وصلّى معه فى مكان واحد؟! الناس فى الهند من قديم طبقات بعضها فوق بعض بالوراثة، لا يستطيع أحد أن يرقى من طبقة إلى ما هو أعلى منها، لا بالعلم، ولا بالعمل، ولا بالأخلاق، لا يمكنك مهما أوتيت من علم، وما حصلت عليه من مركز اجتماعى، أن تنتقل من طبقتك إلى طبقة أخرى، فالبراهمة هؤلاء هم السادة.. هم فى القمّة، قد خلقوا من فم الإله! أمّا الذين خلقوا من ذراع الإله، أو من رجل الإله، أو لم يخلقهم الإله قط، مثل هؤلاء الذين لا يجوز أن يمسهم أحد أو أن يمسّوا أحداً فقد ولدوا أنجاساً أرجاساً، لا سبيل لهم إلى التطهر أو الترقى.

المساواة الحقيقيّة عندنا نحن المسلمين، وأطهر ما تكون عندنا فى المسجد.

هذا هو المسجد، وهذه هى رسالة المسجد، ينبغى أن نعرفها، ينبغى أن نرتبط بها، أن نعّود أبناءنا أن يذهبوا إلى المساجد، ينبغى أن يكون لنا حظّ من صلاة الجماعة فى المساجد، فصلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بخمس وعشرين – أو بسبع وعشرين – درجة، كما جاءت أحاديث النبى ﷺ (١).

---

(١) كحديث: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذّ بسبع وعشرين درجة» رواه مالك =

من هم عمّار المساجد؟ هل هم الدراويش والمتبطلون والمجاذيب؟ إن القرآن حدثنا عن عمار المساجد فقال: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ**﴾ [النور: ٣٧] هم إذن رجال أعمال، وليسوا رجال بطالة أو دروشة، وهكذا كان أصحاب رسول الله. هذا هو المسجد، هذا هو بيت الله، بيت ينسبه الله تعالى إلى نفسه كما في الحديث القدسي: «إنّ بيوتي في الأرض المساجد، وإنّ زوّاري فيها هم عمّارها، فطوبى لمن تطهر في بيته ثمّ زارني في بيتي، فحقّ على المزور أن يكرم زائره»(١).

نسأل الله أن يجعل كرامتنا عنده المغفرة والجنّة، إنّه سميع قريب. ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

● **الخطبة الثانية:**

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

المسلمون في العالم أكثر من ألف مليون، ومع هذا فهم مُضيعّون. مُضيعّون

= وأحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنّسائي وابن ماجة، عن ابن عمر رضي الله عنهما. وحديث: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بخمس وعشرين درجة» رواه أحمد والبخاري وابن ماجة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (فيض القدير للمناوي: ٤/٢١٦ - ٢١٧، برقم ٥٠٧٤، ٥٠٧٥).

وقد جمع بين روايتي: الخمس والسبع بوجوه أوردها الحافظ ابن حجر في (فتح الباري): منها أن ذكر القليل لا ينفي الكثير لأنّ مفهوم العدد غير مراد فرواية الخمس داخلة تحت رواية السبع، ومنها أنّه صلّى الله عليه وسلم أخبر بالخمس ثم أعلمه الله بزيادة الفضل فأخبر بالسبع، ومنها أنّ السبع لبعيد المسجد والخمس لقريبه، ومنها أنّ السبع محمولة على من صلّى بالمسجد والخمس لمن صلّى في غيره، ومنها أنّ الفرق بحال المصلّي كأن يكون أعلم أو أخشع، ومنها أنّ الفرق بالمنتظر للصلاة وغيره، ومنها أنّ الفرق بإدراك كلّها أو بعضها، ومنها أنّ الفرق بكثرة الجماعة وقلّتهم، ومنها أنّ السبع مختصّة بالجهريّة والخمس بالسرية، وقيل غير ذلك. والوجه الأخير هو الذي رجّحه الحافظ. انظر (فتح الباري: ٢/١٥٥ - ١٥٦) ط. دار الريان بالقاهرة.

(١) الطبراني في الكبير برقم ١٠٣٢٤، مجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٢. وهما عن عبد الله وقال في المجمع: وفيه عبد الله بن يعقوب الكرماني وهو ضعيف.

OBEIKAN.COM

لأنّ كلمتهم ليست واحدة، لأنّهم ليسوا صفاً واحدا، كالبنيان المرصوص، لأنّهم أمّة لا يسعف بعضهم بعضا، ولا يشد بعضهم أزر بعض، بل أسلم بعضهم بعضا، والنبى عليه الصلاة والسلام يقول: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولايُسلمه..» (١) لا يسلمه: أى لا يسلّم فيه.. لا يخذله، لا يتخلى عنه، بل ينصره ويقويه ويقف إلى جنبه فى السراء والضراء.

منذ أيّام زارنى إخوة من (أوغندا) وقالوا: نحن نقارب النصف من سكّان (أوغندا) – أكثر من خمسة ملايين من اثنى عشر مليوناً – ومع هذا ليس لنا قيادة، ليس لنا أىّ وضع سياسى أو تشريعى، أكثر من أربعين وزيراً وليس لنا لا وزير ولا نائب وزير، المجلس التشريعى فيه مائة وثمانون، ليس لنا فيه إلاّ اثنان فقط، أملاكنا تؤخذ وتنهب، حتى الأوقاف.. حتى المساجد استولوا عليها، ولم يتكلم أحد من المسلمين.

هناك تعتيم إعلامى رهيب علينا، فلا يعلم بنا أحد، ولا يحس بنا أحد.

هناك إبادة مستترة للمسلمين.

بعد (عيدى أمين) يُباد المسلمون فى أوغندا.

عيدى أمين الذى حاولت الصحافة العالميّة والإعلام العالمى أن يشنّعا عليه، وأن يضخّما من هفواته، وأن يجعلا منه كذا وكذا، حتى قُضى عليه، وسكت المسلمون للأسف.

فى الهند الآن مذابح ما بين فترة وأخرى تُقام للمسلمين، المسلمون فى الهند أقليّة بالنسبة للأكثريّة الهندوسيّة، ولكن هذه الأقلّيّة تقارب مسلمى العالم العربى، أكثر من مائة وخمسين مليون مسلم فى الهند، لهم أرضهم، ولهم ديارهم، ولهم مساجدهم، ولهم مدارسهم، ولهم حضارتهم التى بقيت آثارها

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رضى الله عنهما، وتتمّته: «من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه بها كربةً من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» (رياض الصالحين للنووى: برقم ٢٣٣).

OBEIKAN.COM

إلى اليوم، ومع هذا تأبى الأحزاب الهندوسيّة المتعصبة إلاّ أن تقيم مذبحة ما بين حين وآخر، ولا يتكلم أحد، ولا يحتج أحد، لم هذا؟ ولحساب من هذا الصمت المريب؟

أصبح الدم الإسلامى هو أرخص دم على الأرض.

الهندوس لا يستبيحون قتل البعوض، لكنّهم يستبيحون قتل المسلمين!!

كنّا فى الهند فلم نجد فى الفنادق أىّ مبيد للنّاموس والبعوض والذباب لماذا؟ لأنّ هذه الحشرات لها أرواح، ولا يجوز أن يقتلوا ذا روح، لا يقتلون البعوض ولا الذباب ولا الفئران، يتركون الفئران تأكل القمح بملايين الأطنان، حتى إنّ بعض أعضاء الشيوخ فى الكونجرس الأمريكى قال: لا يحوز أن نصدر القمح أو نعطى القمح معونة للهند، لأنّها تترك مختارة الفئران لتأكل محصولاتها.....

لماذا لا يقتلون الفئران؟ لأنّ الفئران ذات روح، ولا يجوز قتل ذى روح. وذو الروح الوحيد الذى يجوز قتله، بل يستحب قتله، بل يجب قتله: هو المسلم !!

انظروا: المسلمون وحدهم مستباحو الدماء فى كل مكان، لماذا؟ لأنّ أحداً لا يتكلم، لا يقول: ياناس استحوا.. اختشوا، هؤلاء لهم حريتهم..، هؤلاء وراءهم ألف مليون فى العالم.

فيامسلمون تنبهوا من غفلتكم، واسألوا عن إخوانكم، وادعوا الله لهم على الأقل، كونوا معهم بمشاعركم، من كان يستطيع أن ينفع هؤلاء.. أن يكتب كلمة فى صحيفة أو مجلة أو غير ذلك، فلينفعهم.

نسأل الله عزّ وجلّ أن يفقهنا فى ديننا، وأن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا.

اللهمّ اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا فى الأمور كلّها، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة.

OBEIKAN.COM

اللهمّ طهّر أقوالنا من اللغو، وطهّر أعمالنا من العبث، وطهّر أنفسنا من الضعف، وطهّر قلوبنا من الغشّ، وطهّر ألسنتنا من الكذب، وطهّر أفعالنا من الرياء.

اللهم اجمع بين المسلمين على الهدى، وقلوبهم على التقى، وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل.

اللهم إنّا نسألك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة.

اللهم انصر إخوتنا المجاهدين، وأيدّ إخواننا المضطهدين فى كل مكان ﴿ ..**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٧].

اللهم آمين، وصلّ اللهمّ على محمد وآله وصحبه وسلّم.

وأقم الصلاة.

* * *

OBEIKAN.COM

٣ - الصلاة عمود الدين

● **الخطبة الأولى :**

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون :

تحدثنا فى الخطبة الماضية عن رسالة المسجد، ونتحدث فى هذه الخطبة عن الصلاة.

الصلاة عمود الدين، ومفتاح الجنّة، ودليل الإيمان، والفيصل بين الإسلام والكفر، وهكذا جعلها النبى ﷺ : «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»(١)، «العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»(٢).

حينما دعا إبراهيم ربه، دعاه أن يجعل أبناءه من مقيمى الصلاة : ﴿ **رَبِّ اجْعَلْنِى مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ** ﴾ [إبراهيم: ٤٠].

وحينما أثنى الله على إسماعيل قال : ﴿ **وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا** ﴾ [مريم: ٥٥].

وحينما خاطب الله موسى فى لحظات الوحى الأولى قال له : ﴿ **وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ * إِنَّنِى أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِى وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِى** ﴾ [طه: ١٣ - ١٤].

وحينما أنطق الله كلمته عيسى ابن مريم فى المهد صبيّا، كان أوّل ما قال : ﴿ **.. إِنِّى عَبْدُ اللَّهِ آتَانِىَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا * وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِى بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا** ﴾ [مريم: ٣٠ ، ٣١].

---

(١) رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/١٩٨ برقم ٢٧٨).

(٢) رواه أحمد، والنسائى، والترمذى وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجة، وابن حبان فى صحيحه، والحاكم وقال: صحيح، ولا نعرف له علّة، ووافقه الذهبى (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/١٩٨ برقم ٢٧٩).

OBEIKAN.COM

ولما وصّى لقمان الحكيم ابنه كان من أهم ما أوصاه به: ﴿ **يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾ [لقمان: ١٧].

الصلاة، هذه منزلتها فى كلّ دين من الأديان، وفى الإسلام خاصّة.

كانت الصلاة أوّل ما فرض من العبادات، فرضت فى مكّة، وفرضت بصورة لم تفرض عبادة بمثل هذه الصورة. فرضت العبادات كلّها فى الأرض، وفرضت الصلاة وحدها فى السماء، بخطاب مباشر من الله لنبيّه محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، فهى بقيّة هذه الذكرى، هى معراج كلّ مؤمن إلى الله تبارك وتعالى.

هذه هى الصلاة، وهذه أهميّتها.

ذكرها النبى ﷺ يوماً فقال: «من حافظ عليها كانت له نوراً، وبرهاناً، ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور، ولا برهان، ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبىّ بن خلف»(١).

قال ابن القيمّ رحمه الله(٢): من شغله عن الصلاة ملكه حشر مع فرعون، ومن شغله عن الصلاة منصبه حشر مع هامان، ومن شغله عن الصلاة كنوزه وثروته حشر مع قارون، ومن شغله عن الصلاة تجارته حشر مع أبىّ بن خلف.

ولا عذر لتارك الصلاة، أينما كان الإنسان مُشرّقاً أو مغرّباً، فى سفر أو فى حضر، فى صحّة أو فى مرض، فعليه أن يقيم الصلاة. يقول النبى ﷺ: «صلّ قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب»(٣).

لا تسقط الصلاة إلاّ عمنّ فقد الوعى ولم يفهم الخطاب، أمّا مادام واعياً

---

(١) رواه أحمد بإسناد جيدّ عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما، والطبرانى فى الكبير والأوسط، وابن حبان فى صحيحه، وقال الهيثمى: رجال أحمد ثقات، وقال الشيخ شاكر: إسناده صحيح (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/١٩٩ برقم ٢٨٣).

(٢) ابن القيم الجوزية فى كتاب [الصلاة حكم تاركها] ص ٢١.

(٣) رواه أحمد، والبخارى، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجة، عن عمران بن حصين رضى الله عنه (فيض القدير للمناوى: ٤/١٩٨، برقم ٥٠٠٨).

OBEIKAN.COM

ممّيزاً – ولو كان على سرير المرض لا يستطيع أن يتحرك يمنه ولا يسرة – فعليه أن يصلى . يصلى بالايماء موميأً برأسه، أو مشيراً بحاجبيه محّركاً لسانه، كيف استطاع .

الصلاة لا تسقط عن إنسان أبداً مادام واعياً، ولو كان فى معمعة الحرب، ولو كان فى قلب المعركة، يقاتل بالسيف أو بالمدفع، راكباً أو ماشياً، يقول الله تعالى : ﴿ **حَافظُوا عَلَى الصَّلَوَات وَالصَّلاة الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا للَّه قَانتينَ * فَإنْ خفْتُمْ**(١) **فَرجَالاً أَوْ رُكْبَانًا . . .** ﴾ [البقرة: ٢٣٨ ، ٢٣٩] أى : فصلّوا راجلين أو راكبين، ولو كنت على قدميك تضرب بالسيف أو بالقنبلة، أو كنت راكباً جواداً أو مدرّعة أو دبابة أو طائرة، صلّ وأنت على هذه الحالة، ولو لم تستقبل القبلة، ففى مثل هذا يقول القرآن : ﴿ **وَلَلَّه الْمَشْرقُ وَالْمَغْربُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّه . .** ﴾ [البقرة: ١١٥] بلاركوع وبلا سجود وبلا قيام، هذه الأركان كلّها تسقط عند هذه الضرورة .

صلّ بوضوء وطهارة، فإن لم تجد ماء أو لم تقدر على استعماله فصلّ بتيمم، فإن لم تجد فصلّ صلاة فاقد الطهورين ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾

[التغابن: ١٦]

هناك فى الإسلام صلاة تسمّى (صلاة الحرب) أو (صلاة الخوف)، حينما يواجه المقاتلون المسلمون العدو لا يكون القتال عذراً لهم، ينقسمون قسمين : قسم يواجه العدو، وطائفة تصلّى، ثمّ تذهب مكان تلك، يصلّون ويحافظون حتى على صلاة الجماعة، وعلى صلاة الجماعة خلف إمام واحد .

انظروا إلى هذا : جماعة واحدة وخلف إمام واحد !! أىُّ حرصٍ على الصلاة وخصوصا فى جماعة أكثر من هذا؟! يقول الله تعالى فى سورة النساء : ﴿ **وَإذَا كُنتَ فيهمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائفَةٌ منْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلحَتَهُمْ فَإذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا من وَرَائكُمْ وَلْتَأْت طَائفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ**

(١) أى : اشتد بكم الخوف فى الحرب .

OBEIKAN.COM

وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ [النساء: ١٠٢].

هكذا يعلّمنا الإسلام الحرص على الصلاة فى أشدّ المواقف حرجا.

فماذا يكون الحال حين نرى مسلمين يُسمّون باسم محمّد وأحمد ومحمود وحسن وحسين وعبد الله، ولكنّهم لا يصلّون ولا يعرفون المساجد، يبلغ أحدهم الثلاثين والأربعين والخمسين وربمّا أكثر، ولم ينحن يوماً لله راكعا، ولا عفّر جبهته يوماً لله ساجدا، ويُسمّى هؤلاء مسلمين، ويحُسبون على الألف مليون – أو أكثر – من المسلمين !!

أين إسلام هؤلاء ؟

إنّ اللقمة التى يأكلونها تلعنهم، لأنّهم يأكلون نعمة الله ولا يؤدّون شكرها.

كيف بهؤلاء إذا دخلوا سقر، وسألهم أصحاب اليمين: ما سلككم فى سقر أيّها المجرمون؟ ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِى جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ...** ﴾ [المدثر: ٣٨ – ٤٤].

ما حكم هؤلاء عند علماء المسلمين ؟

أمّا من كان جاحداً للصلاة.. جاحداً لفرضيتّها، فهو كافر بالإجماع، لأنّ شأنه شأن المشركين الذين وصفهم الله بقوله: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ** ﴾ [المرسلات: ٤٨].

إذا كان مستخفّاً بالصلاة، مستهزئاً بها، ساخراً من أصحابها، فهذا كافر مارق مرتدّ ولا شك، وهو مثل الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ **وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ** ﴾ [المائدة: ٥٨].

أمّا من تركها عمداً كسلا، فهذا هو الذى اختلف فيه أئمّة المسلمين:

١ – قال الإمام أحمد – فى رواية شهيرة له – وإسحاق بن راهوبه وعدد من الصحابة والتابعين: بأنّه كافر ليس بمسلم، مادام لا يصلّى، ولا يؤدىّ حقّ الله تعالى بأداء هذه الفريضة. روى ذلك عن عدد من الصحابة رضوان الله عليهم، وهو ظاهر الأحاديث التى جعلت الفاصل بين المسلم والكافر: ترك الصلاة.

٢ – وهناك مذهب الشافعى ومالك: أنّ تارك الصلاة عاص فاسق، يُخشى عليه أن يُختم له بالكفر، والعياذ بالله، إذا استمرّ على هذا، لأنّه يرتكب أكبر الكبائر فى الإسلام، بترك حقّ الله تبارك وتعالى، ومن داوم على هذا الترك يُخشى أن يملأ السواد قلبه، فيموت على غير الإسلام، ما لم يتب الله تعالى عليه. وهو يستحق القتل عندهما، حدّا لا كفرا، كما هو عند أحمد ومن وافقه.

٣ – وقال أبو حنيفة: هو فاسق آثم، ويجب أن يؤدب ويضرب ضرباً موجعا، ويُحبس حتى يصلى.

وهذا أخف المذاهب.

أخفّ المذاهب فى تارك الصلاة كسلا: أنه فاسق، و ﴿**بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ..**﴾ [الحجرات: ١١]، ﴿**أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ**﴾ [السجدة: ١٨]

هذا هو شأن تارك الصلاة.

ولهذا لم يصف الله المؤمنين بأنهّم يؤدّون الصلاة، أو أنهّم للصلاة فاعلون، فهذا أمر مفروغ منه، ولكنّه وصف المؤمنين المفلحين بقوله: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ* الَّذِينَ هُمْ فِى صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، وختم هذه الأوصاف بقوله: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**﴾ [المؤمنون: ٩].

بدأ أوصاف المؤمنين بالخشوع فى الصلاة، وختمها بالمحافظة على الصلاة، دليلاً على أهمّيّة هذه الفريضة فى حياة المسلمين.

إنّ على المؤمن أن يحافظ على هذه الفريضة، فيؤديها كما ينبغى أن تكون،

OBEIKAN.COM

فى أوقاتها، قبل أن تفوته، فيكون له الويل الذى توعّد الله به المتشاغلين عن الصلاة فى كتابه: ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ** ﴾ [الماعون: ٤، ٥]، جاء فى الأثر: « إنهّم يتلهون ويتشاغلون بأعمالهم الدنيويّة حتى يفوت وقت الصلاة » أى: إنهم يصلون، ولكنهّم يصلّون الصلاة بعد وقتها.

فما بالكم بمن لا يصلّى؟! ما بالكم بتارك الصلاة؟!

جاء فى الأحاديث: إنّ فى القبر عذابا، وأن من أشد أسباب عذاب القبر عدم العناية بالطهارة للصلاة.. عدم الاستبراء أو الاستنزاه من البول.

مرّ النبى ﷺ بقبرين يُعذب صاحباهما، فقال: « إنهما ليعذبان وما يُعذبان فى كبير، بلى إنه كبير، أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله » (١) أى لا يهتم بأمر الطهارة. معنى هذا أنه يصلى ولكنه أهمل فى شرط من شروط الصلاة، فكيف بمن لا يصلى أبدا؟.

لهذا كانت هناك مسؤولية، مسؤولية كل إنسان عن غيره، مسؤولية الزوج عن زوجته: ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى** ﴾ [طه: ١٣٢]

سئل الإمام أحمد عن الزوجة إذا كانت تاركة للصلاة، ماذا يصنع زوجها؟ قال: أخشى أن لا يحل له المقام مع امرأة لا تصلى لله.

وإن كان الذى أراه اليوم: أن كثيرا من الزوجات والسيدات يشتكين من أزواج لا يعرفون الله تعالى مصلين، ولا راكعين، أو ساجدين.

﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ** ﴾ [طه: ١٣٢]: أأمر أبناءك وبناتك بالصلاة، عوّدهم عليها من الصغر، فإن الخير عادة وإن الشر عادة، حتى ينشأوا على الخير وعلى حب الصلاة، ولهذا جاء فى الحديث: « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع

---

(١) رواه البخارى، وهذا أحد ألفاظه، ومسلم، وأبو داود والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، عن ابن عباس رضى الله عنهما (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١ / ١٤١ برقم ١٠٤).

OBEIKAN.COM

سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين»[1] أى: مروهم بالصلاة: وهم أبناء سبع سنين، واستمروا على هذا الأمر والترغيب والترهيب مدة ثلاث سنين، من تكاسل بعد ذلك فمن حق الأب بل من واجبه أن يضربه، ضربا لا يجرح ولا يكسر، والضرب هنا إشعار بأهمية الأمر، وأنه ليس مجرد كلمة تقال، ثم يدع الولد وحبله على غاربه، لا يبالى أنفذ أمره أم لم ينفذه.

كيف يصنع الوالد لو أمر ابنه بشئ من أمور الدنيا فضرب بكلام أبيه عرض الحائط؟ ماذا يفعل؟ أيقبل أن يفعل ابنه معه مثل هذا وأن يقف مثل هذا الموقف؟ فكذلك فى أمور الدين.

بعض الآباء كل ما يهمه من أمر ابنه أن يذهب به إلى المدرسة، وأن يوفر له حاجاته المادية، وأن يعطيه من النقود ما لعله أكثر من حاجته، وقد يهيئ له سيارة يركبها، ولا يبالى بعد ذلك أصلى أم لم يصل؟ أكان مستقيما على أمر الدين أم منحرفا عنه؟

ماذا يفيدك أن يحمل ابنك أرقى الشهادات ويتسنم أعلى الدرجات، ثم يكون بعد ذلك مصيره إلى النار وبئس القرار؟

أتحب أن يكوى ولدك وفلذة كبدك فى النار؟ ولله جل وعلا يقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** ﴾ [التحريم:٦].

المجتمع مسؤول عن تاركى الصلاة.

الصلاة لابد أن نحافظ عليها، وأن نأمر غيرنا بالمحافظة عليها، وأن ننكر المنكر ونأمر بالمعروف.

إذا جاءك من يشاركك فى تجارة فلابد أن تسأل: أهو من أهل الصلاة أم لا؟

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود والحاكم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال النووى بعد عزوه لأبى داود: إسناده حسن. وتمامه: «وفرقوا بينهم فى المضاجع، وإذا زوج أحدكم خادمه عبده أو أجيره فلا ينظر إلى ما دون السرة وفوق الركبة». انظر: (فيض القدير للمناوى: ٥ / ٥٢١ برقم ٨١٧٤) و (رياض الصالحين للنووى برقم ٣٠١).

OBEIKAN.COM

إذا كان عندك ابنة، وجاء من يخطبها،فاسأل : أهو من أهل الصلاة أم لا؟

كان السلف الصالح يسمون الصلاة (الميزان)، بها يزنون الرجال، والأشخاص، فإذا أرادوا أن يسألوا عن دين رجل وعن أخلاقه وعن سيرته، سألوا أول ما يسألون عن صلاته: هل يعرفه أهل المسجد؟ هل يقوم لله تعالى فى الصباح الباكر؟ هل يحرص على الجماعة؟ هل هو من الخاشعين فى الصلاة؟ هل هو؟ هل هو؟

ولو أننا فعلنا ذلك مع من يناسبنا أو يشاركنا أو يصاهرنا أو يعمل عندنا، لحاصرنا تاركى الصلاة حصاراً، اجتماعيا أدبياً، وأجبرناهم على أن يحترموا شعائر المسلمين، ولكن أحدنا لا يبالى.

حيا الله البنات الصالحات فى هذا البلد، اللاتى عرفت بعضهن وقد رفضن من يتقدم لهن وهو تارك للصلاة، وقالت إحداهن لمن خطبها: والله لا أتزوجك إلا إذا عاهدتنى أمام الله وأمام الناس عهدا لا رجعة فيه أن تصلى ولا تترك الصلاة.

لابد أن نعنى بأمر الصلاة، الصلاة هى الفريضة الأولى، هى الصلة الأولى بين العبد وربه، فلا ينبغى أبدا أن نهملها.

لقد كان هذا المجتمع كله، من أوله إلى آخره، محافظا على الصلاة، ثم جاءت سموم العدوى من هنا وهناك، فإذا بنا نرى كثيرا من الشباب لا يعرفون المسجد، ولا يعرفون الصلاة، ورأينا بعض الناس لا يعرفون المسجد إلا فى رمضان، ورأينا آخرين لا يعرفون الصلاة إلا يوم الجمعة، والصلاة فرضها الله خمس مرات فى كل يوم وليلة.

لابد أن نحرص على هذه الفريضة.

كان الناس قبل أن تأتى الوسائل الحديثة والأجهزة الإعلامية ينامون مبكرين ويستيقظون مبكرين، منذ أكثر من عشرين سنة حينما قدمنا إلى هذا البلد (١)

(١) كان ذلك سنة ١٩٦١ وما بعدها حينما أعير الشيخ القرضاوى – حفظه الله – إلى دولة قطر، مديرا لمعهدها الديني الثانوى.

OBEIKAN.COM

كانت المحلات التجارية تغلق أبوابها قبيل أذان المغرب، وكان الناس ينامون بعد صلاة العشاء، ثم تدب الحركة قبيل الفجر فتمتلئ المساجد، ويذهب الناس صاحين باكرين إلى أعمالهم، يلتمسون البركة فى البكور، يلتمسون بركة دعوة النبى ﷺ حينما قال: «اللهم بارك لأمتى فى بكورها» [1]، يتلقون الصباح طاهرا طهورا، قبل أن تلوثه أنفاس العصاة، وينطلقون إلى أعمالهم مباركين ميمونين.

أما اليوم وقد أصبح الناس يسهرون على الأفلام والمسلسلات والتمثيليات والمسرحيات،وغير ذلك من السهرات، ما حل منها وما حرم ، ثم ينامون فلا يستيقظون إلا بعد طلوع الشمس بوقت طويل، وقد قال النبى ﷺ حينما ذكر له رجل نام ليلة حتى أصبح – أى طلع عليه الصباح – «ذاك رجل بال الشيطان فى أذنيه – أو قال: فى أذنه» .[2] يقول الحسن: إن بوله والله ثقيل! وما أكثر الذين أصبحت آذانهم مباول للشيطان فى عصرنا!! يقول الإمام الشافعى رضى الله عنه: عجبت لمن يصلى الصبح بعد طلوع الشمس كيف يرزق؟!

كيف يرزق وقد أضاع الأوقات المباركة؟ وهى أبرك ما تكون فى البلاد الحارة.

---

(١) أخرجه أبو داود، والترمذى، وابن ماجه، وأحمد والدارمى، كلهم من حديث يعلى بن عطاء، عن عمارة بن حديد، عن صخر الغامدى، والحديث روى بأسانيد كلها ضعاف، ولكنه حسن كما قال الترمذى أو صحيح بشواهده، وقد اعتنى الحافظ المنذرى بجمع طرقه فبلغ عدد من جاء عنه من الصحابة نحو العشرين نفسا انظر:(شرح السنة للبغوى بتحقيق شعيب الأرناؤوط: ١١ / ٢٠ – ٢١ برقم ٢٦٧٣) و (فيض القدير للمناوى: ٢ /١٠٣ – ١٠٤ برقم ١٤٥٧).

(٢) رواه البخارى،ومسلم، والنسائى، وابن ماجة وقال: «فى أذنيه» على التثنيه من غير شك، عن ابن مسعود، ورواه أحمد بإسناد صحيح عن أبى هريرة، وقال « فى أذنه» على الإفراد من غير شك، وزاد فى آخره: قال: الحسن : إن بوله والله ثقيل، قال الهيثمى: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وانظر تعليق الشيخ القرضاوى على الحديث فى كتابه: (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١ /٢٢٣– ٢٢٤ برقم ٣٣١).

OBEIKAN.COM

يا أيها الأخوة:

إن علينا أن نحرص على الصلاة. الصلاة قوة، قوة للروح، قوة للبدن، قوة للإرادة، قوة للخُلق.. قوة للمجتمع.. قوة فى كل شئ هى قوة روحية لأنها تصلك بالله تبارك وتعالى، تدخل إلى الله بغير باب، وتقف بين يديه بلا حجاب، وتكلمه بلا ترجمان، وتناجيه فتناجى قريبا غير بعيد، وتستعين به فتستعين بعزيز غير ذليل، وتسأله فتسأل كريما غير بخيل، تشف روحك، وتصفو نفسك بين يديه، حتى لتكاد تسمع قول الله تعالى فى الحديث القدسى: « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين، ولعبدى ما سأل، فإذا قال العبد: «الحمد لله رب العالمين» قال الله تعالى: حمدنى عبدى، وإذا قال: «الرحمن الرحيم» قال الله تعالى: أثنى علىَّ عبدى، وإذا قال: «مالك يوم الدين» قال: مجدنى عبدى – أى عظمنى – فإذا قال: « إياك نعبد وإياك نستعين» قال: هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل، فإذا قال: «اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين» قال: هذا لعبدى ولعبدى ما سأل»[1].

هذه المناجاة بين الله وبين عبده، هذه الشفافية الروحية شحنة تعَطى للإنسان المسلم كلما دخل الصلاة، ولذلك كانت الصلاة مددا فى معركة الحياة مع المتاعب والآلام.

كان النبى ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، كان يجد فى الصلاة قرة عينه ومسرة قلبه، ويقول: «وجعلت قرة عينى فى الصلاة»[2]. وينتظر وقتها بلهفة حتى إذا جاء قال: «أرحنا بها يا بلال»[3] إنها راحة النفس، إنها روح وريحان فأين هذا ممن يقوم إلى الصلاة ولسان حاله يقول: أرحنا منها؟!

---

(١) رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه، فى كتاب الصلاة من صحيحه، باب: وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة. انظر (صحيح مسلم بشرح النووى: ٤/ ١٠١ – ١٠٢).

(٢) رواه النسائى وأحمد عن أنس النسائى ٣٦٨٠/ ٣٦٨١ وصححه الألبانى، أحمد ج٣/ ١٢٨/ ١٩٩ وحسن الشيخ شعيب الأرناؤوط إسناده.

(٣) رواه أحمد عن رجل من أسلم ج٥ ٣٦٤/ ٣٧١.

OBEIKAN.COM

فرق بين من يستريح بها ومن يستريح منها.

إن الله تعالى وصف المنافقين بقوله: ﴿ **وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ** ﴾ [التوبة: ٥٤]، ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ [النساء: ١٤٢].

هذا هو شأن المنافقين، أى أنهم يصلون، ولكنهم لا ينهضون إليها بقوة ونشاط ومحبة، إنها عبء يريدون أن يتخلصوا منه.

ماذا نقول فى منافقى اليوم، الذين لا يقومون إلى الصلاة لا نشطين ولا كسالى؟ ماذا نقول فى منافقى هذا العصر الذين لا يذكرون الله لا قليلا ولا كثيرا؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

يا أيها الإخوة:

الصلاة، هى آخر ما أوصى به النبى ﷺ وهو على فراش الموت، كان يقول: الصلاة وما ملكت أيمانكم. (١)

هذه هى الصلاة:

الصلاة الإسلامية امتازت عن كل صلاة فى الأديان الأخرى لأنها تمثل كل مظاهر التعظيم لله تبارك وتعالى: فيها القيام، فيها التلاوة لكلام الله تعالى، فيها التسبيح، فيها التهليل، فيها التكبير، فيها الركوع، فيها السجود، و «أقرب ما يكون العبد من ربه – عز وجل – وهو ساجد» (٢).

ثم إن الإسلام قد أحاطها بأشياء، لم تحط به العبادات والصلوات فى الأديان

---

(١) رواه ابن ماجه عن أم سلمة برقم ١٦٢٥ وفى الزوائد: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وانظر: دلائل النبوة للبيهقى ج٧ ص ٢٠٥.

(٢) رواه مسلم، وأبو داود، والنسائى، عن أبى هريرة، رضى الله عنه. وتمامه: «فأكثروا الدعاء» أى أكثروا من الدعاء فى حالة السجود (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: برقم ١٩٣، ٩٢٣).

OBEIKAN.COM

الأخرى، فهى صلاة جماعية، وهى صلاة بأذان، إذا جاء الوقت لا يصيح بوق، ولا يجلجل جرس أو ناقوس، ولا تشتعل نار، كما كان ذلك فى ديانات سابقة، وإنما يؤذن مؤذن بكلام يهز القلوب، بكلام يشرح الصدور، بكلام تعرفه العقول:

الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، حى على الصلاة حى على الفلاح.

أين هذا من جلجلة جرس وناقوس يصك الأسماع، ولا يعرف ما فحواه، جماد أصم يصك أسماع الناس!

صلاة الجماعة تربية اجتماعية، تعلم الطاعة والنظام والجندية والاستجابة السريعة للنداء، لا يدفع المسلم عن إقامة الصلاة وقدة الحر، ولا شدة البرد، إذا سمع نداء الله هرع إليه وقام من نومه، فالصلاة خير من النوم، يسبغ الوضوء على المكاره (١)، ولا يبالى فى سبيل دينه بشئ أبدا.

رأى أحد قواد الفرس المسلمين – فى عهد عمر – رضى الله عنه فى أحد الجيوش – يقفون صفوفا يصلون، لا فرجة، لا خلل، لا عوج فى الصف، المنكب إلى المنكب، والقدم إلى القدم، إذا ركع الإمام ركعوا، وإذا سجد سجدوا، وإذا قرأ أنصتوا، فنظر إليهم وقال فى غيظ وكمد: أكل كبدى ابن الخطاب، أكل كبدى ابن الخطاب، لقد علم هؤلاء البداة مكارم الأخلاق.

وما علمهم ابن الخطاب، إنما الذى علمهم وعلم ابن الخطاب معهم وقبلهم

---

(١) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال ﷺ: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط، فذلكم الرباط فذلكم الرباط» رواه مالك، ومسلم، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه بمعناه، ورواه ابن ماجه أيضا، وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى سعيد الخدرى والمقصود بالمكارة: ما يكرهه الإنسان ويشق عليه مثل شدة البرد فى الشتاء ونحوه، وإسباغه: إتمامه وإكماله (المنتقى من كتاب الترغيب والترغيب: ١/١٤٧ برقم ١٢١).

هو (الإسلام) و (رسول الإسلام ﷺ).

هذه هى الصلاة التى ينبغى أن نحرص عليها لتكون لنا مددا وتكون لنا قوة: ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٤٥]

أقول قولى هذا، واستغفر الله لى ولكم، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

● **الخطبة الثانية:**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

حدثتكم فى الأسبوع الماضى عن إخوتنا فى (آسام) فى الهند، وعن إخوتنا فى أوغندا. وإنى لأحيى صحيفة (الراية) التى استجابت لدعوتنا فى الأسبوع الماضى، حين قلنا: هل من جهاز إعلامى، هل من صحيفة، هل من أحد يتحدث عن هؤلاء الناس؟

فتحدثت عنهم الصحيفة، فجزى الله كل من قال كلمة حق فى هذا الأمر خيرا.

حدثتكم فى الأسبوع الماضى – أيها الأخوة – عن إخوتنا فى أوغندا، عن الملايين الخمسة – أو أكثر – فى هذا البلد الافريقى، الذين اضطرهم الطغيان – الذى دخل عليهم من بلد مجاور – أن يلجأوا إلى الغابات ليعيشوا فيها سنين، يأكلون أوراق الشجر، وتتمزق ملابسهم حتى يظلوا عراة لا يسترهم شئ. من كان عنده ثوب استعاره من أخيه وقت الصلاة ليصلى فيه ثم يعيده إليه.

ظلوا مختفين مدة من الزمن، ثم عادوا وهم مقهورون، لا يسأل عنهم أحد، ولا يتحدث عنهم أحد، أخذت مساجدهم، أخذت أوقافهم.

عندنا هنا أخَوان فى جامعة قطر فى منحة قصيرة، يقولان: إنا لا نجد الكتاب الذى نعلمه لأولادنا، لا نجد كراسة نعلم فيها الأولاد الكتب والكراريس تأتى من أمريكا وأوروبا بالملايين، وكل ما يطلبونه منا أن نقبل المسيحية وتتدفق علينا الكتب والكراريس والمعونات.

أين نحن المسلمين؟ إنهم يطلبون منا شيئا بسيطاً يقولون ألا يوجد من ينشئ لنا مطبعة – أو يشترى لنا مطبعة – نطبع فيها بعض الكتب أو بعض النشرات، أو حتى الكراريس للأولاد؟ ألا يوجد من أغنياء المسلمين – وما أكثرهم – من يتبنى مشروعا كهذا بمائة ألف – أو مائتى ألف – دولار؟

OBEIKAN.COM

ما أكثر الأموال التى تنفق بغير حساب هنا وهناك. ألا يستطيع أحد أن يمد يده لهؤلاء؟

وإن مؤتمر المبشرين البرتستانت الأمريكان وحدهم، قد اجتمع سنة ١٩٧٨م فى مدينة (كولورادو)، وحضره أكثر من مائة وخمسين مبشراً، وقرروا أن يعملوا على تنصير المسلمين فى العالم، ورصدوا لذلك (ألف مليون دولار) !!

هل نعجز نحن عن رصد ألف مليون دولار؟ والله لا نعجز لو أردنا وصممنا، منذ يومين كان يكلمنى إنسان هنا فى قطر وقال: إذا كان لى مائة مليون دولار فى البنوك الأجنبية، وأصبح لها فوائد تساوى هذا المبلغ أو تقاربه فماذا أفعل فيه؟

هناك إذن ملايين، هناك عشرات الملايين، هناك مئات الملايين فأين هؤلاء؟ لماذا لا يمدون اليد إلى إخوانهم الذين يشكون ولا يجدون؟

المسلمون فيهم أغنياء، المسلمون عندهم أموال، المسلمون عندهم قوة، ولكنهم لا يخططون ولا ينظمون ولا ينسقون ولا يتعاونون، ليسوا يدا واحدة كما أمرهم الله، وإنما هم فئات شتى كما أراد لهم الشيطان وأراد لهم الاستعمار.

متى تتحد كلمة المسلمين لمواجهة الباطل؟ متى يقفون صفا واحدة كالبنيان يشد بعضهم بعضا؟

نسأل الله عز وجل أن يجمع كلمة المسلمين على الهدى، وقلوبهم على التقى، وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل.

اللهم اجعل يومنا خيرا من أمسنا، واجعل غدنا خيرا من يومنا، وأحسن عاقبتنا فى الأمور كلها، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة. اللهم اجعل كلمة الإسلام هى العليا، واجعل كلمة أعدائه هى السفلى.

اللهم أعل بنا كلمة الإسلام، وارفع بنا راية القرآن، وحبّب إلينا الإيمان وزيّنه فى قلوبنا، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين فضلاً منك ونعمة.

وصل على عبدك ونبيِّك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٦]

عباد الله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [النحل: ٩٠] وأقم الصلاة.

٤ - عاطفة الحبّ

● **الخطبة الأولى:**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

طلب إلىَّ بعض الشباب أن أحدثكم عن العلاقات العاطفية ، قلت له: وماذا تعنى بالعلاقة العاطفية؟ أى عاطفة تعنى؟ قال: عاطفة الحب، وهل هناك عاطفة غيرها؟ قلت: وأى حب تعنى؟ قال: حب الرجل للمرأة، وحب المرأة للرجل، وهل هناك حب غير ذلك؟ قلت : هنا الخطأ. إن الإنسان ليس عاطفة فحسب، الكيان الإنسانى مكون من مجموعة أشياء: من الجسم ومتطلباته، من العقل وآفاقه، من الروح وأشواقه، من العاطفة وتطلعاتها، من الإرادة وما تتجه إليه، كل هذه النواحى تنشئ الكينونة الإنسانية.

الإنسان ليس عاطفة فحسب، والعاطفة ليست هى الحب وحده، الإنسان يحب ويكره، ويرضى ويسخط، ويفرح ويحزن، كل هذه عواطف، فلماذا قصرنا العاطفة على الحب؟

وإذا أردنا أن نتحدث عن الحب، فلماذا نقصر الحب على حب الرجل للمرأة والمرأة للرجل؟ ولماذا نقصر حبّ الرجل للمرأة أو المرأة للرجل على حب الرجل الأجنبى من المرأة، أو المرأة الأجنبية من الرجل؟ هذا كله خطأ وانحراف فى الاتجاه.

إن الله فطر الإنسان على أن يَحِب وأن يُحَب، ولكن لماذا يحصر الحب فى هذا المجال الضيق؟

أولى من ينبغى أن نحب هو الله تبارك وتعالى.

أعظم أنواع الحب وأرقاها وأخلدها وأبقاها هو حب الله.

الإنسان يحب الجمال، وأى جمال أجمل من ذى الجمال والجلال... من الله تبارك وتعالى؟ هو واهب الجمال، وهو مصدر الجمال، وهو جميل يحب الجمال.

OBEIKAN.COM

الإنسان يحب الكمال، ولذلك يحب الناس العباقرة والنوابغ والأبطال، وأى كمال يدانى كمال الله عز وجل؟ وكل كمال فى البشر نقص، الذى تنزه عن كل نقص، واتصف بكل كمال هو الله تبارك وتعالى.

الإنسان يحب الإحسان، وهو أسير الإحسان، وجبلت النفوس على حب من أحسن إليها، فهل هناك من أحسن إلينا أعظم من الله تبارك وتعالى؟ إن كل النعم منه: ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ** ﴾ [النحل:٥٣] ما ننعم به فى حياتنا، فى داخلنا وفى خارجنا، ما يغمرنا من رؤوسنا إلى أخمص أقدامنا، هو من نعم الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا** ﴾ [إبراهيم:٣٤].

أفلا يستحق الله تعالى أن نحبه؟

لماذا لا نحب الله؟

لماذا لا يشغل حب الله أنفسنا وعقولنا وقلوبنا؟

لماذا ينسى الناس حب الله تبارك وتعالى؟

﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ** ﴾ [البقرة:١٦٥]. هؤلاء المؤمنون الذين يقدمون حب الله على كل شئ، يعمر هذا الحب أفئدتهم، ويملأ ما بين جنوبهم، فهم يحيون به ويموتون عليه. وهم الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ **فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ** ﴾ [المائدة: ٥٤].

كانت رابعة العدوية تقول حينما ينام الناس ويأوون إلى فرشهم: قد جاء الليل، وأوى كل حبيب إلى حبيبه، وهذا يارب أوان خلوتى بك، وأنسى إليك.

هذا هو شعور من يحب الله.

وكانت تقول:

حبيبى لا يعادله حبيب وما لسواه فى قلبى نصيب

OBEIKAN.COM

حبيب غاب عن بصرى وحسى ولكن فى فؤادى لا يغيب

الله حاضر معها ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ** ﴾ [الحديد: ٤]، فهى تنظر فى نفسها وتنظر فى الآفاق من حولها، فى السماء فوقها وفى الأرض تحتها، وفى كل ما حولها ومن حولها، فتجد آثار نعمة الله، وآثار فضل الله، وآثار قدرة الله، وآثار رحمة الله، فكيف لا يمتلئ قلبها حبا لله تبارك وتعالى؟

حب الله، هذا هو المصدر الأول، وهذه هى الوجهة الأولى، لمن يريد أن يستخدم هذه العاطفة فى محلها.

حب رسول الله ﷺ الذى هدانا الله به، وأخرجنا به من الظلمات إلى النور، وعلمنا به من جهالة، وهدانا به من ضلالة، به عرفنا الصراط المستقيم، به أصبحنا خير أمة أخرجت للناس.

لهذا كان واجبا على كل مؤمن أن يحب رسول الله ﷺ. وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» (١)، وهكذا أحبه الصحابة رضى الله عنهم، حتى أن خبيبا رضى الله عنه حينما صلبوه – رفعوه على خشبة ليصلب – أرادوا أن يختبروه، وقال له قائل من المشركين: أتحب أن يكون محمد فى مكانك وأنت فى بيتك وأهلك؟ قال: لا والله، ما أحب أن يكون رسول الله ﷺ فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة فى قدمه، فقال أبو سفيان – وكان مشركا فى ذلك الوقت – ما رأيت أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا، وقد قتلوه وهو ينشد:

ولست أبالى حين أقتل مسلما على أى جنب كان فى الله مصرعى! (٢)

ولما حضر أحد الصحابة الوفاة – بعد النبى ﷺ قالت ابنته: واحزناه. قال:

---

(١) رواه أحمد والبخارى ومسلم والنسائى، وابن ماجه ورجاله ثقات، عن أنس بن مالك رضى الله عنه (فيض القدير للمناوى: ٦ / ٤٤١ برقم ٩٩٣٩).

(٢) قضية مذكورة فى الصحيح. وانظر الإصابة جـ (١) ترجمة (٢٢٢٢) والاستيعاب لابن عبد البر على هامش الإصابة جـ١ صـ ٤٢٩ – ٤٣٣.

OBEIKAN.COM

وهو يحتضر -: لا تقولى واحزناه، ولكن قولى: (وافرحاه) غدا ألقى الأحبة، محمدا وصحبه.

وثوبان مولاه ﷺ أصابه تغير وذبول، فسأله عليه الصلاة والسلام: ماذا بك يا ثوبان؟ قال: تذكرت يا رسول الله أمرى وأمرك فى الآخرة، فى الدنيا لا أطيق فراقك وإذا غبت عنى حننت إليك واشتقت إليك، فذكرت الآخرة حينما تكون فى الدرجات العلى ونحن فى درجات المؤمنين إن شاء الله، كيف لى أن أصبر عنك؟ فكان الجواب فى قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا** ﴾ [النساء:٦٩]، ولذلك قال له: «أبشر فإن المرء مع من أحب» (١).

وجاء رجل يقول يا رسول الله، يا نبى الله متى الساعة؟ فقال (ما أعددت لها؟» [بدل أن تسأل عن الساعة اسأل نفسك: ماذا هيأت للساعة لتستقبلها]، فقال: ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام، ولكنى أحب الله ورسوله، فقال له: أنت مع من أحببت» (٢) وفى حديث آخر: «المرء مع من أحب» (٣) فما فرح الصحابة بشئ فرحهم بهذا الحديث: «المرء مع من أحب» وكلهم يحبون رسول الله ﷺ.

هذ هى التطلعات العليا التى شغلوا أنفسهم بها، ولهذا لم يبالوا أن يدعوا كل شئ يحرص عليه الناس فى دنياهم من أجل حب الله وحب رسول الله ﷺ.

وفى غزوة أحد كان حنظلة فى الليالى الأولى من زواجه، وسمع النداء بالمعركة فبادر بالاستجابة دون أن يغتسل وكان جنباً، أراد أن يلحق بالمؤمنين وأن لا تفوته الفرصة، فلم يسعفه الوقت للاغتسال. وشاء الله أن يكتب له الشهادة فى هذه المعركة، وأخبر النبى ﷺ بقصته الصحابة، وقال لهم: إن صاحبكم -

---

(١) رواه البخارى عن عبد الله بن مسعود كتاب الأدب باب ٩٦.

(٢) متفق عليه من حديث أنس كما فى اللؤلؤ والمرجان برقم (١٩٦٣).

(٣) متفق عليه عن أبى موسى اللؤلؤ والمرجان (١٩٦٤).

OBEIKAN.COM

يعنى حنظلة – لتغسله الملائكة. ولهذا عرف فى السير والمغازى وفى كتب السنة بأنه: حنظلة غسيل الملائكة (١).

فى غزوة تبوك كان (أبو خيثمة) قد تخلف عن النبى ﷺ، طاوع نفسه الأمارة بالسوء، فجلس إلى نسائه وفى بيته، لأن الوقت كان وقت شدة حر، ووقت جنى الثمار، كانت ساعة العسرة، ولكنه ما إن رأى حوله الظل والماء والطعام والنساء قال: أأبقى فى هذه الرفاهية وهذا النعيم ورسول الله فى الحر والريح؟ لا والله، لا أقرب واحدة منكن، ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى ألحق برسول الله ﷺ.

ولحق به، حتى أن النبى عليه الصلاة والسلام رأى غبارا من بعيد فأدرك أن هذا أبو خيثمة، لأن مثله لا ينبغى أن يتخلف، فقال: «كن أبا خيثمة» فما إن وصل حتى كان هو أبا خيثمة رضى الله عنه (٢).

هذه هى النفسيات العالية التى تعيش فى حب كبير، حب لله ورسوله وللجهاد فى سبيله، أما إن كانت الدنيا وزخارفها ومتعلقاتها أحب من الله ورسوله والجهاد فى سبيله، فهذا أمر آخر، أنذرنا الله سوء عاقبته حينما قال: ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [التوبة: ٢٤].

المؤمن الحق مشغول بحب الله وحب رسول الله وحب الجنة، إنه فى شوق إلى ما عند الله عز وجل، إن حب الآخرة وحب الجنة التى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قد شغله عن كل شئ فى هذه الدنيا، إنه يريد ما عند الله عز وجل: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ**

---

(١) انظر: الإصابة فى تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر جـ١ الترجمة رقم (١٨٦٣).

(٢) انظر: زاد المعاد. غزوة تبوك.

مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ * قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ [أى من النساء والبنين والقناطير المقنطرة وكل متاع هذه الدنيا] **لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** ﴾ [آل عمران: ١٤، ١٥].

هذا ما يتطلع إليه المؤمنون، هذا ما ترنو إليه أبصارهم وبصائرهم، هذا ما تفكر فيه عقولهم، هذا ما تهتم به عزائمهم، هذا ما تتوجه إليه قلوبهم، ولكن الناس فى عصرنا – والشباب خاصة – شغلوا بغير ما شغل به خبيب بن عدى، وأسامة بن زيد، وعلى بن أبى طالب، والمهاجرون والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.

شغلهم الحب، وأى حب؟ إنه ليس حب الله ورسوله والجهاد فى سبيله إنه حب المرأة فى صورة معينة.

إذا كان ولابد من حب المرأة، فلماذا لا يحب الإنسان أمه؟ ولماذا لا يحب زوجته؟ وإذا كان حب البشر مطلوبا، فلما لا يحب إخوانه المؤمنين؟

الحب فيه متسع: « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »(١)، « والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم »(٢).

محبة المؤمنين بعضهم لبعض فى الله: أن تحب لله، تحب فلاناً لأنه يطيع الله، لأنه ينصر دين الله، لأنه يقول الحق، لأنه لا يخاف فى الله لومة لائم، لأنه فعال للخير، مناع للشر. إذا أحببت إنسانا لهذا فأنت تحبه لله، لا لدنيا تصيبها، ولا لشئ من أغراضها تناله، هذا هو الحب فى الله أو الحب لله. ولهذا كان هو تمام الإيمان، كما جاء فى الحديث الصحيح: « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا لله

---

(١) رواه البخارى ومسلم، وغيرهما، عن أنس رضى الله عنه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/ ٥١٤ برقم ٩٩٨) وهو من أحاديث الأربعين النووية.

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه (شرح السنة للبغوى بتحقيق شعيب الأرناؤوط: ١٢/ ٢٥٨ برقم ٣٣٠٠).

OBEIKAN.COM

ومن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار» (١).

هذا هو الحب والكره، هذه هى العاطفة التى يريدها الإسلام. يريد الإسلام من المسلم أن يطوع عواطفه وانفعالاته وميوله لحكم الله ولشرع الله، كما قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» (٢)، أى: تصبح أهواؤه وميوله ومشاعره إسلامية محمدية قرآنية.

هذا هو ما يراد من المسلم.

ليس معنى هذا أن الإسلام لا يريد من الإنسان أن يحب من يستحق الحب من زوجة أو أبناء، لا، هذا مطلوب، ولكن للأسف الحب الذى يتحدثون عنه هو: حب المرأة التى ليست زوجة ولا أما ولا بنتا ولا أختا، هذا الحب: الغرام.. العشق، والذى تتفنن الحياة الحديثة فى إشعال ناره، فى الرمى له بالوقود المتأجج باستمرار: أغانى... قصص.. صور.. أفلام.. مسلسلات، هذه كلها تؤجج النار، والنار موجودة وليست محتاجة إلى هذا كله.

إنه فى الحقيقة ليس حبا، إنه شهوة، إنه ميل غريزى كامن وموجود.

لماذا هذا كله؟ لماذا نلح على هذه الغريزة هذا الإلحاح، وبهذه الأساليب الشديدة التأثير؟ حتى أصبح الشباب والشابات يعيشون فى هذه الأباطيل، يعانون القلق، يعانون الاضطراب النفسى، من جراء التفكير المستمر، والسرحان، والتوهان، والمكالمات الهاتفية التى تطول.

لم هذا كله؟

---

(١) رواه البخاري ومسلم، والترمذي والنسائي عن أنس رضي الله عنه (المنتقي من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/ ٧٨٥ - ٧٨٦، برقم ١٨٣٢).

(٢) من أحاديث الأربعين النووية، قال النووي: حديث حسن صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح. وقد بسط الكلام علي هذا الحديث الحافظ ابن رجب في (جامع العلوم والحكم) وضعف إسناده لضعف نعيم بن حماد المروزي. انظر (جامع العلوم والحكم: ص ٥٢١ - ٥٢٥) ط مكتبة دار التراث بالقاهرة.

OBEIKAN.COM

قالوا: ربما يكون وراءه زواج. ولكن هل يكون الزواج بهذه الطريقة؟!

إن الزواج الذى عرفه المسلمون له أبواب معروفة ﴿ **وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا** ﴾ [البقرة :١٨٩]. بدل أن تكلم الفتاة من خلف ظهر أهلها، إذهب إلى أهلها، إذا قبلوك فبها، وإلا فلا تضع نفسك فى مأزق لا تستطيع الخروج منه.

كم من المكالمات الهاتفية ومن الرسائل، تأتينى من فتيات شغلن أنفسهن بعلاقة عاطفية مع شاب معين، فلما تقدم لأهلها رفضوه.

لم إذن هذا العذاب؟

عرفنا وعرف المسلمون من قديم الزمان أن الشاب يتقدم لخطبة الفتاة، وينظر أهل الفتاة بالموازين الإسلامية فى أمره.. فى دينه وخلقه، وقدرته على إحصانها، وإلى الموضوع من كل جانب، فإذا وافقوا عليه كان ذلك خيرا كثيرا.

وهنا نذكر أن هناك للأسف من الناس من لا يسمحون لخاطب ابنتهم بمجرد النظر إليها، وهذا غلو ليس من الدين فى شئ.

إن النبى ﷺ قال لمن خطب من الصحابة (١): «هل نظرت إليها؟ قال: لا، قال: فانظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما» (٢) هنا أباح الإسلام النظر لأنه نظر لهدف، إنه يريد أن يتعرف عليها ليطمئن قلبه لها، ولعل هذه النظرة البريئة – التى تهدف إلى مشروع صالح وقيام أسرة مسلمة – تكون بداية لمحبة زوجية، فإن العين رسول القلب.

---

(١) هو المغيرة بن شعبة رضى الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذى والنسائى، عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه، حسنه البغوى، وصححه ابن حبان، وقال شعيب الأرناؤوط إسناده صحيح. انظر (شرح السنة للبغوى بتحقيق شعيب الارناؤوط: ٩/١٦ – ١٧ برقم ٢٢٤٧) وقوله: «يؤدم بينكما» أى: يكون بينكما المحبة والموافقة.

OBEIKAN.COM

نحن للأسف دائما نقع بين الإفراط والتفريط، فإما أناس لا يسمحون للخاطب أن يرى مخطوبته بحال، ولا يراها إلا ليلة الزفاف، وإما أناس تركوا الحبل على الغارب، وأطلقوا العنان للشاب والشابة يذهبان معا إلى النزهات، أو إلى السينما، أو الأماكن الخلوية، قبل عقد العقد، وهذا لا يجوز.

لا يجوز أن يختلى الشاب بالشابة دون عقد بينهما، إلا أن يكون معهما أحد من أهل الفتاة.

الإسلام يريد إقامة أسر صالحة، ولا يريد من الإنسان المسلم أن يشغل نفسه بما لا يجدى، ومن هنا أمرنا بغض الأبصار، أو الغض من الأبصار ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ** ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

إنه يريد أن يسد الذرائع إلى الفجور، ومن ناحية أخرى يسد الذرائع إلى القلق والاضطراب النفسى، الذى يعانيه من يعانيه، من أجل نظرة أدت إلى تعلق قلبه بامرأة لا يستطيع أن يصل إليها، ولا يستطيع أن يتزوجها. لم هذا؟

الشاعر العربى يقول قديما:

وأنت إذا أرسلت طرفك رائدا ... لقلبك يوما أتعبتك المناظر

رأيت الذى لا كله أنت قادرعليه ... ولا عن بعضه أنت صابر

لم هذا؟ لماذا يعرض الإنسان نفسه للقلق والاشتغال وإدخال نفسه فى مآزق لايمكنه الخروج منها؟ ولماذا يعرض نفسه للفتنة أيضا؟ وكما قال الشاعر قديما:

كل الحوادث مبداها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر

وقال الشاعر شوقى حديثا:

نظرة فابتسامه فسلام ... فكلام فموعد فلقاء

الألف تجر إلى الباء، والقليل يجر إلى الكثير، ولهذا سد الباب، وغض من

OBEIKAN.COM

بصرك ولا تتبع النظرة النظرة، كما قال النبى ﷺ لعلى: «يا على، لا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى، وليست لك الآخرة» (١) خشية أن يفتن أو يشغل أو يقلق.

بعض الناس يقول: إنه حب، والحب لا دخل للإنسان فيه، هذا شئ يصنعه الله فى القلب، والقلب ليس بيدى!

هذا صحيح، ،ولكن مقدماته فى يدك، الأسباب فى يدك، أنت الذى أوصلت نفسك إلى هذه المرحلة، ولهذا يقول الشاعر:

تعلق بالعشق حتى عشق فلما استقل به لم يطق
رأى لجة ظنها موجة فلما توغل فيها غرق

هو أغرق نفسه، وكان الأولى أن يبتعد، إن الذى نريده من شبابنا وشاباتنا: أن يدعوا هذه الترهات، أن يدعوا هذه الأباطيل، وأن يفكروا فى مصيرهم ومستقبلهم، أن يفكروا فى موقفهم بين يدى الله تبارك وتعالى، أن يفكروا فى أمر هذه الأمة، أن يهتموا بأمر المسلمين، أن ينشغلوا بما هو أعظم من هذا.

أما من شغل نفسه بهذه الأمور، من الشبان الذين يجلسون فى الشوارع أو فى الطرقات يلتهمون الغاديات والرائحات، فهؤلاء لن يربحوا فى الدنيا، ولن يربحوا فى الآخرة، وهل يقبل الإنسان لأحد ممن يغار عليه أن يكون كذلك؟ هل ترضى هذا لزوجتك أو لأختك أو لابنتك أو لإحدى ذوات محارمك؟

كان الشاعر الجاهلى الفارس عنترة بن شداد العبسى يقول:

أغشى فتاة الحى عند حليلها وإذا غدا فى الجيش لا أغشاها

---

(١) أخرجه أحمد وأبو داود، والترمذى، والحاكم من حديث بريدة، وقال الترمذى: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك، وذكر شعيب الأرناؤوط أن له طريقاً آخر عند أحمد والدارمى عن على رضى الله عنه فيتقوى الحديث به ويحسن (شرح السنة للبغوى تحقيق شعيب الأرناؤوط: ٩/٢٣ - ٢٤) و (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/٥٤٧ برقم ١٠٨٨).

OBEIKAN.COM

وأغض طرفى إن بدت لى جارتى حتى يوارى جارتى مأواها

فعل ذلك من باب الشهامة والمروءة ومكارم الأخلاق.

يقول هذا وهو جاهلى، ونرى الناس فى عصرنا أول من ينظر إليها ومن يريد أن يتطلع إليها هى امرأة جاره أو بنت جاره، وللجوار حرمة. الجار حارس على حرمات جاره، فكيف يكون هو اللص؟! إنه الراعى فكيف يكون هو الذئب؟!

إن الإسلام يريد منا أن نوجه عواطفنا وجهة كريمة، يريد منا أن نوجه هذه العواطف ونتسامى بها إلى ما يحب الله ويرضى، يريد منا أن نكون كيوسف عليه السلام، وليس كامرأة العزيز.

امرأة العزيز شغفها فتاها – يوسف – حبا، وهو مملوك لها، وأرادت أن يرتكب معها الحرام، و هيأت الأسباب ﴿ **وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ..** ﴾ [يوسف: ٢٣]، ولكن الشاب المؤمن – مع أنه كان فى ريعان شبابه ومقتبل عمره، وفى غربة لا يعرفه فيها أحد، ولا يحاسبه على ذلك أحد، ولم يسع إلى الفتنة ولكن الفتنة سعت إليه، وكان يمكنه أن يستجيب، ولكنّه – وقف كالطود الأشمّ وقال: ﴿ **... مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّى أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [يوسف:٢٣].

ولما حضر النّسوة وطلع عليهنّ ﴿ **... فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ** ﴾ [يوسف: ٣١]، قطعن أيديهنّ من الدهشة.. من حسنه وجماله وفتوته، وحرّضنه على طاعة سيّدته، فماذا كان منه أمام التحريض من ناحية والتهديد من ناحية؟

إغراء وإغواء، وتهديد ووعيد، قالته المرأة بصريح العبارة: ﴿ **وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ** ﴾ [يوسف: ٣٢]. هنا خُيرّ يوسف بين محنتين: محنة فى دنياه ومحنة فى دينه، فأىّ المحنتين يختار؟

كانت محنة دنياه أن يُسجن كما هدّدت المرأة ويكون من الصاغرين، وهى

OBEIKAN.COM

قادرة على أن تقول وتفعل لما لها من نفوذ فى تلك الدوائر العليا. كان مخيّراً بين هذه المحنة وبين محنة أخرى فى دينه، بأن يُفتن وأن يزنى ويكون من الفاسقين، فآثر محنة الدنيا على محنة الدين، ومحنة الدنيا لا تساوى شيئاً بجانب محنة الدين، ولهذا علّمنا نبينّا أن نقول: «اللهم لا تجعل مصيبتنا فى ديننا»(١).

ولهذا توجّه يوسف إلى ربه و ﴿ **قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [يوسف:٣٣]. وهذا يدلّ على شدّة فتنة النّساء، ولهذا قال: ﴿ .. **وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾، فالقوى قد يضعف.

ورضى بالسجن ولم يرض بارتكاب الفاحشة، ودخل السجن وعاش فيه ما عاش.

هذا هو العفاف، هذه هى الإرادة الصُّلبة، هذه هى الرجولة. من أراد أن يتخذ له مثلاً عالياً من شبابنا فليتخذه من يوسف، لا يتخذ المثل من الممثلين العرب أو الممثلين الأمريكان. يتخذه من أسامة بن زيد، من محمد بن القاسم، من الشباب المؤمن على مراحل التاريخ، هذا ما نريده من شبابنا.

يا أيّها الشبان ويا أيتها الشابّات.. يا أبناء الإسلام وبناته: اعرفوا أنفسكم، اشغلوا أنفسكم بما هو أهمّ وأبقى، دعوا هذه الترّهات، دعوا هذه المغريات التى نراها فى كلّ مكان.

ويا أصحاب التوجيه والتأثير فى الصحافة والإعلام والقصص والكتب: اتقوا الله فى بنينا وبناتنا، اتقوا الله فى بنيكم أنتم وبناتكم أنتم، أليس لكم بنون

---

(١) وذلك فى الدعاء المأثور الذى كان يدعو به عليه الصلاة والسلام ونصّه: «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلّغنا به جنتك، ومن اليقين ما يهوّن علينا مصائب الدنيا، ومتعنا بأسماعنا، وأبصارنا، وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منّا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلّط علينا من لا يرحمنا» رواه الترمذى وحسّنه وأقرّه النووى، ورواه الحاكم وصححّه (فيض القدير للمناوى: ٢/١٣٢ – ١٣٣ برقم ١٥٠٥).

OBEIKAN.COM

وبنات؟ أليس لكم شبان وشابّات؟ احرصوا على هؤلاء، احموهم من الفتنة، فإنّ الفتنة تطلّ برأسها من كل مكان.

نسأل الله عزّ وجلّ أن يقينا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجنّبنا الفواحش كلّها، إنّه سميع بصير.

أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

● **الخطبة الثانية :**

أما بعد :

ورد أنّ فى يوم الجمعة ساعة إجابة لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلاّ استجاب له، ولعلّها تكون هذه الساعة[1].

اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا فى كلّ خير، واجعل الموت راحة لنا من كلّ شر.

اللهم طهّر أقوالنا من اللغو، وطهر أعمالنا من العبث، وطهّر أنفسنا من الضعف، وطهّر قلوبنا من الغشّ، وطهّر ألسنتنا من الكذب، وطهّر أعمالنا من الرياء، وطهّر أعيننا من الخيانة.

اللهمّ اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا فى الأمور كلّها، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة.

عباد الله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [النحل: ٩٠].

وأقم الصلاة.

---

(١) يشير الشيخ حفظه الله إلى حديث أبى هريرة المتفق عليه، أنّ رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: «فيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلّى يسأل الله شيئاً إلاّ أعطاه إيّاه» وأشار بيده يقلّلها. والمراد بالساعة هنا (معناها اللغوى) وهو: برهة من الزمن، ولهذا قال: وأشار بيده يقلّلها، ليسارة وقتها. وأمّا تعيين الساعة فقد ورد فيه أحاديث كثيرة صحيحة واختلف العلماء فيها اختلافاً كثيرا، وأفاض الإمام ابن القيم فى ذكر أقوالهم ورجحّ منها قولين، أحدهما: أنها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة، والثانى: أنها بعد العصر، قال: وهذا أرجح القولين.

انظر (زاد المعاد: ١/ ٣٨٨ – ٣٩٧) بتحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط. وانظر أيضا: (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للشيخ القرضاوى: ١/ ٢٤١ – ٢٤٣).

OBEIKAN.COM